رحيل

هاجر محمد

جميع حقوق الطبع و النشر محفوظة

الطبعة الأولى يناير ٢٠٢٠

الكتاب : رحيل

المؤلف : هاجر محمد

تدقيق لغوي : أحمد عبدالله

تصميم الغلاف : محمد دربالة

رقم ايداع: 2019 - 26141

ترقيم دولي: 978-977-85604-8-5



دار مسار للنشر و التوزيع







massar.pub1@gmail.com



ش - حسن خطاب - قسم يوسف بيك
- الزقازيق - الشرقية

هاجر محمد

رحيل



لم نُخبر عن أحلامِ الأطفال، كان كالحظر الذي يفصل بيننا وبينهم، أغمضتَ عينيها الخضراء بلمعةٍ، أحبت أمراً لا يستحقُ الحب، أحبت أموراً لا تُحبُ، ثُمَّ دقائق لتجد قدمها الصغيرة قد كبرت شبرين، وأحاطت عينيها برموشٍ كثيفةٍ أحاطتها بتمردٍ، لامست أرضاً خدشت قدميها بما يحيطها من صخور، صخورٌ ليست كأيُ صخورٍ، أُغلقَ البابُ الذي يفصلها عن تلك الغرفة بعد أن مدت قدمها بكل ثقة، نظرت حولها؛ كانت غرفةٌ صماء حُنيَ بابُها، اختفى وكأنما ابتلعته الجدران، غرفة يقسمها خرابٌ؛ لا لون له ولا حياة، والقسمُ الآخر كان ينعم باللون الأرجواني خالي من أي شئ، كان الخراب وذلك اللون، كُلٌّ منهم ينعمُ بحق النصف دون ظُلمٍ أو خدشٌ للحق، فتحت عينيها وهي تبكي طاغيةً علي دنيةٍ ما، أُختيرت أن ترسم بها حزناً وحريقاً. .

***

جلست ثم نظرت حولها، صوت القرآن الذي يملئُ أنحاء كلُّ ركنٍ من أركان البيت، نظرت بعينيها الخضراء غير مُصدقةٍ، سوادٌ يحفو سواد، كل أولئك البشر هنا ليعزوني بأُمي، أيُ عزاءٍ وأيُ بُكاءٍ قد أحضروه معهم، لامستَ خدها الصافي بعد قطرات دمعها الذي

لامس رقبتها بسرعةِ البرق، كأنه يخطو خطواته ليخنقها، يعلمُ أماكنَ جسدها جيداً، ويعلم من أين وكيف تُغرَ، أمسكت -نسيم - يدها وبكت.
نظرت لها ثم نظرت للبيت، كان كبيرٌ يضيقُ بي بكل من يملأه، كان هادئً بكل أثاثه، راقي لايخدش ولا يجرح ولكنه فعل . . .
يزدحم بها وكأن الكون تأمرَ علي حُريتها، زاد بُكائُها كلما شعرت بيد -نسيم- تدعمها هي، كانت نسيماً حقاً، كريح طيب يغزو يومك، وإنحاء جسدك برفقٍ ثم يغادرُ برفقٍ، كانت جميلةً -نسيماً وأعاصيراً-، كانت حنونةً تدرك متى ينبغي عليها لمسي بحذر كنسيم، ومتى ينبغي عليها اقتحام حواسي كعواصفٍ لاتحنُ ولا تهدأ. .
ليت -نسيمٌ- كانت نسيماً لكل القلوب . . . . . . !

قُمتُ ثم قلتُ: نسيم أنا داخلة أنام، مش عارفة استوعب حاجة، ممكن تفضلي لحد ما المكان يفضى.

نسيم بألم وهي تبكي: أنا هفضل معاكِ النهاردة أصلاً.
ابتسمت بكل قبولٍ، ثم دخلتُ غرفتي، كان كل ركنٍ يذكرني بأمي، أتذكر لون الأرجواني جيداً، كيف اختارته مع أمي، كانت تسألني بكل حبٍ: إيه اللون اللي نفسك يحضنك. .

أتذكرُ ابتسامتها التي تحيطُ حول عينيها قوانين السعادة. .
جلست علي سريري وأنا أبكي، أتذكر كل تفاصيلها، شعرها الحريري الذي كانت تكره أن يلمس كتفها، كلما اخبرها بلمساته ظلمته بقصة،
أمسكتُ شعري الطويل الذي يحضنُ روحي وكامل جسدي، كانت المرةُ الأولي التي لا أشعرُ به يكسوني، بكيتُ كثيراً وأنا أتنهد بين الحين والحين، بكيت وأنا أعلمُ أن العالمَ بآسره اليوم قد خان كل إيماني. . .
ملئتُ جزءً صغيراً من سريري، أغمضتُ عينيا هروباً من كل العالم.
فتحت عيني وكما اعتدتُ دوماً، أدخلتُ قدمي لتلمس أرضاً ناعمةً، ابتسمت؛ ثم سمعت صوتُ البابُ يُغلقُ بعنفٍ، يغارُ من الهواء الذي يلامس ظهري، نظرتُ ورائي لأجدُ الجُدرانَ قد ألتهمت الباب، نظرت حولي وكُلُّ شئٍ يتبدلُ، أمي أمامي، ولكنها تبتعدُ بكل حوائط الغرفةِ عني، وتختفي بكل قسوةٍ ملئت قلبي، ثم أنهدم كل شئٍ أمامي ما عاد لون الأرجواني بلون، وتلك الورود التي تملئُ حوائط الغرفة بعشوائية وعدم تقدير، وربما بعضُ الظلم، أصبحت تسقط وتحرق كل شئٍ حولها، أصبحَ الرمادُ والغبارُ والفراقُ عنوانٌ للمكان، والنسيمُ رحلَ منه، بدأتُ أبكي وعيني تعكِسُ ببريقِ النيران التي حولي، صرخت بكل ما أوتيتُ من قوتي، صرختُ فهدأت النيرانُ تاركةً خرابٌ . . . . خرابٌ فحسب.

فتحتُ عيني لأجدُ -نسيم- تُغني برقةٍ - قلت له لا تخاف أطلع شوف الشمس اللي راح تطلع . . . . . -
جميلةٌ -نسيم-، نظرت لها وهي مغمضةٌ عينيها في عالمٍ آخر، تُداعبُ شعري، وكأنما تُداعبُ زهور حياتها برفقٍ، وكل السلامِ.
نظرتُ لها ودموعي تنسابُ بكل رشاقةٍ حول كلٍ شئٍ حولي، لا أدري كلما شعرت- نسيم- بالألمِ أو ألمُ أحدٍ، تغني تِلكَ الأغنية، كانت تؤمنُ بالحريةِ كثيراً، تُقدسُّها وتحضِنُها كلما قاست عليها القيود، كانت تري أن الألم هو أكبر قيد يقيد كل حروف العالم بداخلك. .
كانت تختار النيران علي أن لا تشعر بالقيد أو تراه، هكذا كانت دوماً تشعرني بالاطمئنان تمتلك بعينها كل مراسم الطيران، وأري الآن أنها تدعو الله بكل صدق أن أتحرر من جراحي من ألامي وآثر النيران حولي. .
أمسكت يدها ثم ابتسمت وأنا امسح دموعي، أنا أحب التقدير، أحب أن أملئ في النفوس أنهم خير شاف وأن الله يستمع لدعواتهم في الحال؛
قررت أن أُمثلَ الحُريةَ، أنا كنتُ أيضاً أعشقُ التمثيلَ؛
نظرت نسيم لي بعينها الفاتحة، كنت أحياناً أتوه من آثر وضوحها، ابتسمت لي بكل ملامحها الهادئة كصوتها وروح سمائها.

مسحت دموعي ثم جلست أسأل :الساعة كام؟
نسيم: ٣ تقريباً.
قلت وأنا أفكر، تعالي نستنى الفجر في البلكونة.
ابتسمت نسيم بحب ثم قامت ورائي، كنت اركض وكأنما أهرب من نارٍ لم تترك لي أي فجوة إلا تلك، هكذا علمتني نسيم أن أداعب العالم بريحٍ رقيقةٍ في يومٍ صخوب الشمس ثم أغادر طوال الصيف؛ لأعود يوماً نسيماً ويوماً مطراً. .
أتذكرُ أمي؛ كانت تصفُ البشر أنهم أسماء، أخبرتني أنها لذلك اختارت اسمي بكل عناية. . . . !
أتذكرُ وقتها نطقتَ اسمها بهدوء -سيول-
ابتسمت وقالت: جدك هو اللي أختار اسمي، قرر أنه يجمع الخير والشر، البناء والهدم في حد واحد، وكانت أنا. .

نظرتُ لنسيم ثُمَّ للهدوءِ من حولي، نظرتُ للورود التي تملئُ الحديقة؛ ثم قلت: نسيم. .
نظرت لي بسعادةٍ مزيفةٍ أعشقها. . تُمثلُ مثلي ربما أكثر، -نسيم- كانت تعشقُ أمي؛ كانت هنا دوماً تملئُ البيت بضحكتها الرقيقة، كانت ترى أمي حرية بشكلٍ ما. .
كنتُ أري نظرات نسيم لأمي وهي تحكي لنا قصصها، كانت أمي مليئةٌ بالقصص، كل يومٍ قبل وأمي تحكي لي بعضها؛ وربما

كنت اسمعُ كُلَّ يوم نفس الحكاية بألفاظٍ أخرى، بصوتٍ أخر يملأه أحساسٌ آخر، أَيعقل! ؛ أن تُملئَ أمي بكل تلك المشاعر، وأن تُحضن قصصها بكل تلك الأحاسيس، نسيم سمعت بعض تلك القصص، كانت بحق السماء نسيمي أنا وأمي، تأتي في الوقت الصائب، وترحل في الوقت . . . . لا أدري!

قلتُ بعد سرحان وأنا أجلسُ علي أرجوحةٍ قد ثبتتها أمي لي في أحدى أيام حزني لتصنع ابتسامةً مني، ابتسمت :عصفور طل من الشباك قالي يا نونو . . . .

لتكمل نسيماً هي تجلس أمامي: خبيني عندك، خبيني، دخلك يا نونو.

ثم قامت لتحضني، كم أنها تفهم العبارات، تُحرفها مثلي تماماً، تُحرفها وآهٍ من تحريفها. .

بكينا علي صوت (الصلاةُ خيرٌ من النوم).

نظرت نسيم، أتذكر يوم موت عائلتها، لم تبكي، أحياناً أتعجبها ! حتى أن خيالي خُيل لي أنه حدثٌ من أدعائها، كانت تحبُ الحريةَ حباً كاد أن يشبه المرض، أتذكرُ حينها عينيها الفاتحة، ملأها غبارٌ لم أراه بعينيها قطٌ، أصبح واضحاً بألمٍ، حينها أدركتُ أن الوضوح هو أكثر الأمور إبهاماً.

قالت -نسيم- وهي تمسك يدي: ماما سيول في مكان أحلى من هنا بكتير، ثم بكت؛

غريبةٌ ألسنتنا؛ تنطق بأمورٍ لا تتلائم مع جرحنا،
ملئت عيني الدموع؛ ونظرت للسماء، لم أكن أعلم أني سأتعلق بنجم من نجومها !
سمعت دقات الباب؛ نظرت لنسيم التي لم تستغرب، وقامت تفتح الباب؛ كانت- مريم- تلك الروح التي علمتني أن الخيانةَ في بعضِ الأوقات تُزيد من دقات قلوبنا لذلك الخائن!!
كنت أقف وراء -نسيم- ، ابتسمت لمريم، فضمتني وهي تبكي؛
قالت مريم وهي تنظر لعيني: أنا أول ما عرفت جيت بأول طيارة والله. .
ابتسمتُ لها ثُمَّ جلست علي أحدى كراسي الصالون، وكنت انظر ليدي كطفولتي تماما، كأنما سرق أحدٌ مني قطعة حلوتي المفضلة.

مر يوم ويوم ويوم، تحولت أيامي لشهورٍ فقط لبضع شهور، -نسيم - لم تتركني، موتُ عائلتها قيدها بمنزل خالتها ولكنها نسيم. . تصدمني !
كيف تحارب من أجل حُريتها، اشترت بيتاً بقربي وأصبحنا أختين بغرفٍ مختلفة، ومريم بقت ولا أدري ما سبب بقائها، ربما وافق والدها علي أن يفتح لها عيادة، كانت طبيبةٌ نفسية، لا أدري إن كان يليق بها، ولا أدري بماذا تسمي الخيانة بعلم النفس!؟
ولكن -نسيم- دوماً كانت تصمت من عبارات-مريم- وما كانت

-نسيم-الصامتة، ذلك الأمر الوحيد الذي جعلني أصدق بعض الشئ، إنها تدعو للاستقامة (استقامة الروح) كما اطلق عليها، مشيتُ قليلاً بين أعمالي، الفساتينُ من حولي كلها من صنع يدي، درست الديكور؛ ولكنه لم يحبني رغم ذلك، كان كل ركنٍ من أركان الأتيلييه يؤكد أنني مصممة ديكور.

أتذكر أمي كانت تخبرني :لما تتجرحي انتقمي.

كان لفظ الانتقام لأمي يعني الانتقال، وأنا قررتُ الانتقام، بدأتُ أرسمُ وأنا أجلسُ علي مكتبي الذي يملأه الورد، نظرت لهاتفي:

ورديت: أستاذ نجيب !

نجيب بمرح :يا مبدعتنا.

رفعت حاجبي وابتسمت ثم قلت: ها يا باش مهندس.

نجيب :يا ستى -نرجس- دي عايشة في فرنسا؛ وشافت فساتينك وطالباكي بالاسم عشان تعمليلها فستان فرحها.

ابتسمت ثم قلت :هي في مصر.

نجيب: علشانك هي جيالك يوم الثلاثاء في الأتيلييه.

قلت بلا حماس: تمام يا أستاذ نجيب.

علمتني أمي كتم شعوري، علمتني أن بعض الأمور توازينا، تظل بقربنا دون نقطة تقاطع، لذا لم أبالغ يوماً بشعوري، كنت اصمت حتى نهاية الطريق، وأينما التقاطع كنت أصرخ سعيدة، اتفقت مع أمي أن لا أطيل في الطرق وإن كان التقاطع سيأتي في نهاية

طريقٍ ما، فأعلمي أن هناك تقاطع يتابعه توازي، وهناك تقاطع يتابعه بابٌ لا يسمح بالتوازي ولا الاستمرار . . .

ابتسمت من اسم -نسيم- الذي ظهر علي الشاشة. . .

رديت بمرحٍ: نسيم.

قالت بحماسٍ: أنا غيرت حاجات في المطعم لازم تشوفيها. .

قلت :تمام هعدي عليكي ونروح سوا. .

نسيم بسعادة: تمام. .

اعشق سعادتها وحزنها، مشاعرها كالنسيم حقاً،

اشكر والدتها كل يومٍ علي ذلك الاختيارُ الصائب؛

كان ذلك اليوم مؤلماً بعض الشئ، أحياناً تتفق أحزاننا معنا لتنعم روحنا بروحها؛

ركبت سيارتي السوداء، ثم ذهبت حيث مطعم - نسيم-، حينما دخلتَ سمعت صوت- زين-؛

-نسيم -تعشق زين؛ تعلم جيداً كيف تأسره داخل مجال حريتها، حين دخولي نظر-زين-

لي وابتسم ثم قال :سنيوريتا. .

ابتسمت ثم نظرت حولي، مطعم نسيم هو مطعم فريد من نوعه، داخله روحٌ أخري وعطرات أخري، كانت قد ملئت اللون الأزرق حوائطه، وبعض الورود الصفراء، وبعض أوراق الشجر التي تتدلي من سقف المطعم، وزُينت الكراسي بلون الحوائط،

كان المكان أشبه بمن أنتشل جزء مني فيه. .
ابتسمت بسعادة ثم صرخت بمرحٍ: واو.
أمسك -زين- يد نسيم: ده ذوق نسيم.
نظرت نسيم حولها ثم قالت: بجد حلو.
جلست علي أحد الكراسي: جداً ونفسي اشرب عصير برتقال، ثم ضحكت. .
-زين -بمرح: دي مهمتي.
جلست نسيم بجواري وهي تنظر حولها، كانت نظراتها تحمل سحرٌ غريب، سحرٌ يشبه. . . . . ماذا يشبه؟. . لا يشبه شئ. .
أمسكتُ يدها ونظرت معها حول المكان؛
مقاتل شرودنا ذلك إلا زين وهو يحمل عصيري وعصير نسيم؛ وضعهم وبدأ ينظر معنا علي المكان، -زين- شخص ممتع بكل ما تحمله العبارات، كان لا يدري شيئاً عن حياتي، ولكنه كان ينظر لي دوماً نظرات تخدش روحي من الداخل، كنت أشعر من صميم قلبي أن عينه هو سلاحه في تلك الحياة؛
الحقيقة المطلقة أنه كان يمسك يد نسيم دوماً كان يعجبني ذلك الأمر و يخيفني كثيراً...

***

أقف علي أعتاب نفس الباب وككل مرة أدخل ويختفي الباب مع واقعي، نظرت حولي بسكون؛ كانت نسيم تقف عند أحد

الجدران تزينها باللون الأزرق كلون عينيها تماماً، ابتسمت بسكون؛ وأُتابعها وهي تدندن (قلت لا تخاف أطلع شوف الشمس اللي راح تطلع)
لم يكن المكان معمر إلي حدٍ كبيرٍ، كان يملأه بعضُ الخراب، ولكن لا بأس بخرابٍ يكسوه السكون، خرابٌ يؤلمك بلا ضجيج، فتحت عيني ونظرتُ لسقف غرفتي، شعرتُ بحرارةٍ تكسو جسدي، لم يكن اليوم حار ولكن مشاعري كانت حارة .
شعرت برغبةٍ شديدةٍ أن أشكر نسيم، ولكني وددت أن أمارس حريتها التي علمتها لي، أصبحت أغني بكل مرح، خلعت ملابسي وسمحت للماء أن يغزوني، أن يبرد مشاعري التي استيقظتُ بها حارة، خرجت ومسحت الضباب الذي يملئ المرآة ونظرت، كنتُ جميلةٌ لا أدري، ولكني كنت أجملُ من كل يوم، كأن روحاً جميلةً تكسوني، ربما اللون الأزرق خاصة نسيم جعل مني جميلةٌ آخري، ارتديت بنطلوناً جينز فاتح لونه وبلوزتي الحمراء، وارتديت أكثر أحذيتي حباً لي، كان أسود أحضرته أمي لي في يوم ميلادي الثامن عشر.
كم مر ومازال يطنن خطواتي؟ وككل يوم؛ دخلت غرفة أمي ارتديتُ خاتماً من خواتمها، ووضعت من أكثر العطور حباً لها، كان قد اقترب من الزوال مثلها. . . . .
لا استطيع السير في الشوارع دون رائحتها حول عنقي، وبين يدي،

وربما تكسو جسدي، أمسكتُ هاتفي ومفتاح سيارتي وخرجت من البيت وأنا اتصل بنسيم. .
ردت بمرح: فينك.
قلت بمرح أكثر :رايحة الشغل.
نسيم :طيب بصي خلصي وتعالي علي المطعم.
وافقت بحب، قدتُ بأكبر قوة لدي، وسمحت لأذني أن تسمع أكثر الأغاني حُباً لقلبي.
نظرتُ لهاتفي الذي يرن لأسمعَ صوتٌ هادئ تختلط به اللغةُ العربيةُ، أكثرُ اللغات حباً لأُذني: أنا -نرجس-، نجيب قالي عنك؛ وأنا عاوزة. . . .
ابتسمت ثم قاطعتها بسعادة: أنا لسه واصلة الأتيلييه، مستنياكي؛ تمام.
قالت بروحٍ جميلة؛ وصلت قبلي: أنا علي الطريق.
نزلتُ من سيارتي، ودخلتُ الأتيلييه، كنت أراه كذلك اليومَ بطريقةٍ أخري، هل تغير العالم؟ .
أم أن روحَ قلبي تجددت، غريبةٌ تِلكَ النفسُ التي زرعها اللهُ فينا، تزدهرُ وتذبلُ كيفما تشاء، كنت أشعرُ أني أودُ الابتسامُ لطيلةَ حياتي، صنعتُ فنجاناً من القهوة، أنا أكرهُ القهوة، ليس لأني أكرهها؛ بل لأني أحببتُها مع أحدهم. . شاركني فنجاني؛ ثُمَّ غادرني؛ من حينها: قررتُ أن أنفصلَ عنها، كما أنفصل عن قلبي،

لكن؛ اليوم أُريدُ أن أتذكره، ابتسمتُ وأنا أرتشفُ أولَ الرشفات بعد خمس سنوات، قهقهت قليلاً؛ مر خمسُ سنواتٍ لم أتذوق القهوة، كان طعمُها لا يزالُ في شفتاي، ابتسمتُ وأنا ألمسُ شفتاي، نظرتُ في أحدى الزوايا، وسرحتُ في ماضي لا ينصُ لحاضري بصلة، كان يسيرُ بمرحٍ في نواحي ذلك الأتيلييه الذي لم يكن أتيلييه: بصي هنا، هنحط صورتنا.

ضممتُ حاجبي بتعجبٍ، صورتنا هتعمل إيه في معرض أثاث حضرتك ؟.

قال بمرحٍ وهو يحملُني: هتزود المبيعات.

ابتسمتُ وأنا أعودُ للواقع، مازال يجعلني ابتسم، كان دارساً لكل طقوسي، نظرتُ للباب الذي يُفتحُ، كانت فتاةٌ بغايةِ الجمال؛ طويلةٌ؛ ممشوقةُ القوام.

قمتُ وأنا ابتسم: نورتي الأتيلييه.

ابتسمتُ بسعادةٍ، ونظرت لي بجمال، هناك أرواحٌ تُدركُ كيف تملكنا من اللقطة الأولى، أعترف؛ هي تمتلك نظرات أمي، أحداهم قال: إن بعض الأرواح خُلقت معاً، أمتزجت بنفس الطين، وراحت تطوفُ بعيداً عن الآخرى، كي تظهر في الوقت المناسب، كالكلمة التي في موضعها، ابتسمت ثم نظرت لمن معها رافعةً حاجبها؛

مددتُ يدي ليصافحها؛ أغمضت عيني. . إنها نفس الحرارة التي استيقظتُ بها، نظرت له، كان ينظر بداخل خضره، عينيه كأنه

يخترق حشائشها !
تجاهلت نظراته وتلك الحرارة ثم قلت بمرح :أحنا عندنا بنغلس علي العريس بأنه مينفعش يشوف فستان الفرح غير يوم الفرح؛
نرجس بلهجتها المضطربة: ده اخويا سهيل عايش في مصر.
سألتها وأنا اجلس علي مكتبي وهي تجلس أمامي ثم نظرت له كان يحدق بي :أنتِ من امتى في فرنسا ؟
ابتسمت نرجس :أنا عشت في مصر ١١ سنه وبابا قرر أكمل تعليم في فرنسا، كان المفروض ارجع بس حبيت فرنسا وعملت حياة هناك.
نظرت لسهيل كنت أود أن اسمع صوته ولكني أعتقد أنه أدرك ذلك وقرر أن يكون سهيلا حقاً؛
أنا وقع الحروف تخدشني، تقتلني وتحييني،
أحب الأصوات ومصدرها، قوتها ونبرتها
ابتسمت ثم قلت: حاطة أستايل معين في دماغك. .
فكرتَ قليلاً ثم قالت :تؤ أنا واثقة فيكي .
حرك سُهيل شفتيه كأنه أراد الكلام ولكنه لم ينطق، نظر للمكان من حوله، أبعدتُ شعري القصير عن وجهتي، ثم أخرجت من درجي صوراً لتصاميمي قلت وأنا أعطيها الصور: أتفرجي عليهم.
ثم فكرت قليلاً وقلت وأنا أقوم بمرح: تعالي.
كنت أشعر جيداً بنظرات سهيل التي تفترسني، جعلت نرجس

تري فساتين الأتيلييه الذي ملأه روحي في كل ركنٍ منه، كان سهيل يقف أمام أحد الفساتين ويدقق فيها، رأيت لمعةً عينه السوداء.
قلت بمرح :دا فستان ماما.
نظر لي بقسوة ابتعدت علي آثرها خطوة للوراء. نظر بعيني مرة آخري، لا أدري كيف تتبدل نظراته من قسوة لحنان في أقل من ثانية، ولكن تلك العائلة تذكرني بأمي.

حان وقت نسيم؛ ركبت سيارتي. . كانت الساعة تقترب من السابعة، ذهبت للمطعم.
زين :سنيوريتا.
ابتسمتُ وأنا ألمس علي كتفه وأقول بمرح :إيه يا زين باشا!
نظر زين لي ونسيم، ثم قال وهو يسحب مفتاح سيارتي من يدى: باقي اليوم أنا هضبطهولكم.
نظرت له وضحكت. .
نظرت نسيم له بعدم فهم، أمسكتُ يديها لأشعر بنفس حرارة الصباح وكأن سهيل هنا في مكانٍ ما، أوصلنا زين للنيل، ذلك المكان الذي يجعلني اعشق كل رياح ذلك الوطن؛
زين بمرح: تعالو.
أوصلنا لمركبٍ صغير، ركب زين ثم مد يده لنسيم ولي، وقاد المركب هو. .

نظرت له بعدم استيعاب، حرك رأسه وهو يطمئنني؛
نسيم بعدم فهم :زين هنتوه. .
زين وهو يغمز لها :عيب عليكي.
نظرت كلاهما وأنا صامتة، نظرت للماء بعد وقت لم أحسبه.
نظر زين لنسيم وترك القيادة :نسيم. .
نسيم باستفسار: توهنا فين طيب. .
ضحك وهو يجلس بجوارها: عقلي مش مستوعب السؤال.
نظرت له بقلق، ابتسم وهو يطمئني بعينيه.
قال زين بمرح :متغنيلي واحنا في نص المياة كدا.
نسيم وهي تضحك بتكبرٍ: لا.
زين وهو يتكبر بمرح :مممم اسمعي بقى.
نظرت له باهتمام؛
بدأ يدندن بمرح :في كلام لما بيتقال بيغير كل حياتنا معاه . . . . .
أنا من اللحظة دي بقلك أني بحبك
صمت ثم نظر لها وقال بحنان :تتجوزيني !!!
في تلك اللحظة شعرت بشلل نسيم مسحت دموعها ثم قالت بعد أن بدأت تستوعب :بجد !
أومَ برأسه وقال وهو يمسك يديها :مش عاوز غيرك فالحياة؛
وضعَ بيديها خاتم كنت قد اختارته معه؛
أحياناً؛ حتى أرقامُ عمرنا لا تستوعب اللحظات التي تعيدنا أطفالٌ

من جديد، أنا عدتُ طفلةٌ وأنا أري سعادتهم، حينما أري الأيادي المتشابكة أتعهد مع نفسي أن تلك اليد تستحق صدقاً إلى الحد الذي تصدق دقات قلبي إشارات عقلي، أنا الحب يدفع الدم بكل أنحاء جسدي بحرية، يجعل روحي تطوق لأن تجد روحاً تألفها، تشعرها بالراحة وتدفئ برودتها التي لا تخمد . . . . . . !

ذلك اليوم أدركت شيئا واحداً، أنني بحاجة لأن أتحرر.

نظر لي زين بأمتنان جعلني اسعد، وأهديته نظرة امتنان لأنه أسعدني مع نسيم حقاً، جميل أن تشهد لحظات العشق حتى إن لم تكن اللمسات لأجلك، حتى وإن كان كلام العيون ليس لك، ولكنه يهدينا سعادةً بشكلٍ غريب وكأن الحب يذكرنا أن الحياة مازلت تستحق فرصة لأن تعاش . . . . !

***

نظرت للمكان من حولي ثم ألقيت الماء علي أرض الأتيلييه، شممت رائحة الماء الذي عطرت، وضحكت وأنا أغني مع أغاني محمد منير التي ملئت الأتيلييه حولي .

نظرت خلفي وأنا أغني لأجد سهيل أمامي، نظرت للمكان و لعصا المساحة التي بيدي، ثم ضحكت، ظننت أنني أغلقت الأتيلييه؛

رفعت كتفي بتلقائيةٍ جعلته يبتسم، اقتلع قلبي من ابتسامته، كنت اعلم أنه يمتلك ابتسامه كتلك ولكني لم اعتقد أني سأكون سبب ظهورها، أغمضت عيني وأنا اشعر بنفس الحرارة التي

تسري بجسدي
قال بصوتٍ أوقف قلبي الذي اقتلعه من دقائق:
أنتِ كل ما بتنظفي الأتيلييه بتعملي كدا.
ضحكت فضحك، سرت بعيداً عنه قليلاً، كنت أريد أن أسمع صوته من كل جوانب الأتيلييه؛
رفعت شعري القصير للوراء، لاحظت ابتسامته
قلت بمرحٍ وأنا التفتُ له: منور أنا كنت. . . ثم سكت
أكملت :يعني . . . أنت لازم تشوف فستان نرجس؛
ثم ضممت حاجبي بتعجبٍ وقلت بتساؤل: هي فين نرجس؟ ليه مجتش معاك؟
نظر لي وصمت قليلا ثم قال بأختصار: أنتِ رغاية أوي.
رفعت له حاجبي بتعجب أنها المرة الأولي الذي يصفني أحدهم بالثرثارة، وضعت يدي خلف شعري وابتسمت له بترحاب؛
نظر للماء الذي علي الأرض ثم قال :المياة بتنشف لوحدها عندك!
قلت بأستيعاب وأنا أنشف الماء :ها لا.
كنت أشعر بشلل كل حواسي، وكأن قلبي تكلف بكل وظائفهم فقدت ذلك الشعور منذ ٥ سنوات وأنا أفقده.
سهيل وهو ينظر لي ويبتسم :بتتكلمي مع روحك في إيه؛
فتحت فمي بصدمة، رفع حاجبهُ لي ومالَ برأسه بذكاء؛
يستخدم ألفاظ أمي بجدارة !

قلت وأنا أبعد عصا المنشفة: تحب أصمملك بدلتك؟
رفع أحد حاجبه لي وبدأ ينظر لعيني مباشرةً ثم قال وهو يبعد عينيه ويقول: عينيك حلوة أوي.
قلت بتلقائية غريبة :ديه مش عيني.
نظر لي باستغراب حتى أنا لو كان بإمكاني النظر لنفسي كنت سأنظر بنفس الاستغراب.
ابتسمت ببلاهةٍ وقلت بتلقائيةٍ أكبر: لينسيز.
نظر لي بعدم تصديق، أملت رأسي ثم ابتسمت بدلع وأنا أقول وأنا أحاول تصديق ما أقول :حلوة عليَ صح ؟
نظر لي بصمت ثم قال وهو يغادر:٧ حلو.
قلت بعدم فهم :٧ إيه.
قال بكل هدوء: عشاء. .
ثم غادر المكان، تركني وأنا لا أصدق، لم يشعرني أحدهم بصدمة مفرحةٍ كتلك مطلقاً. .
وقفت أمام المرآة، ثم ابتسمتُ بدهشةٍ وأنا أعدل شعري :يارب يكون أتنكش دلوقتي.
ثم ضحكت؛
أخذتُ قلمي من علي المكتب، وبدأت أغلق غطائه وافتحه، وأنا أسير في الاتيلييه وابتسم؛
بعضُ المشاعر من الظلم أن نطلق عليها أسماء، بعضها يُهدأ

ليعطش روحنا، وبعضها ليملأها حباً وذكري، جلست علي مكتبي وبدأ قلمي يوجه يدي للرسم؛
نظرت لرسمتي بصدمةٍ، ثم نظرت ليدي بخوف،
نصف ملامحه تكمل النصف الآخر لملامح أمي !
رميت القلم أمامي، ثم وضعت رسمتي في الدرج؛

***

نظرت لمرآة الأتيلييه، ارتديت فستان أسود يخفي ذراعي، ولكنه يسقط قليلا ليظهر جزء من كتفي، وضعت عقد يعقد علي رقبتي بعناية؛ أحمر لونه، وضعت أحمر شفاه -أحمر-، وارتديت حذائي الأحمر ذو الكعب الرفيع، لم يكن أحد حولي يخبرني كم أني جميلة؛ ولكنه كان ورائي ينظر للمرآة ويبتسم،
ضحك وقال :أنا بحب اللون الأحمر أوي؛
لففت له؛ قال بتعجب :بس الأسود يبقي أحلى معاه، أحلى من الأخضر.
نظر لعيني وضحك؛
أنزلت عيني بخجل وابتسمت :دي لينسيز مش بتتشال، بعدين مين قالك أنها سوده !
رفع حاجبه ثم مد يده وقال :مش يلا.
أمسكت يده وخرجنا، نظرت له ثم أغلقت الأتيلييه، لا أدري ما سبب تلك الحرارة التي بجسدي، الجو بغاية الجمال، ما سر

شعوري بالحر !
نظرتَ له وابتسمت، شعرت أنها ابتسامه فخر، ربما أفضل شعور نهديه لأحدهم هو الفخر لوجوده، آه لو يعلم !
فتح باب السيارة ونظر لي، نظرت لسيارتي، ضم حاجبه بتعجبٍ، ضحكت ثم ركبت، قاد وفتح أغانيه التي تتناسب مع روحي جيداً؛
وبدأ يدندن معها :تروح وتنساني أترجاك يا ملاك، تشغلني تهواني، تهملني من دنياك، وأنت تروح تنساني أترجاك يا ملاك ، تشغلني تهواني، تهملني من دنياك ، وأترجاك ياااا ملاك ، كنت أترجاك يا ملاك.
لم أرى أكثر منه جاذبية، ابتسمت وأنا أبعد شعري عن عيني الذي داعبه الهواء؛
قال بتساؤل دون أن يبعد عينيه عن الطريق: قصيتي شعرك ليه؟
نظرت له بصدمه
قال مُبرراً: أعتقد كنتِ بتروحي events وكنتِ بتتصوري ومكنش شعرك قصير حتى، كان طويل أوي؛
قلت؛ بتحب الشعر الطويل؟
قال وهو ينظر لي ويبتسم :أنا بحب الجمال.
ضحك وقال :والأخضر والأسود كمان، نظر لعيني؛
أبعدت عيني عنه ثم قلت بمرح :هنتعشى فين.

نظر للطريق وعاد يدندن مع أغانيه التي ملكت قلبي؛
نظرت له ثم أخرجت يدي من الشباك، نظر لي وضحك، ضحكت ثم أخرجت جسدي، أحب مزاح الرياح وكنت أشعر أني أطير مع نجم لا أدري من أي قطبٍ قد أتي، مجهولٌ يشعرني باطمئنان، مجهولٌ مثله ، أحب الأحاسيس التي بلا منطق ولا أسماء، أحب اللامنطق وأؤمن به؛
جلست وبدأت اعدل شعري الذي بعثره الهواء، نظرت له؛
ابتسم ثم قال: أنتِ بتبصي حلو أوي.
قلت وأنا أضحك: أزاي. .
قال وهو ينظر لي :اللينسيز بتاعتك.
ثم سكت؛
قلت بعدم فهم :مالهم.
قال بتلقائية :بتتكلم.
ضحكت ثم قلت بتساؤل: أنت عايش فين ؟
رفع صوت الأغاني ونظر أمامه للطريق، أسندت رأسي علي شباك سيارته وبدأت أراقب الطريق، كنت أحارب دوماً وأنا انظر له كنت أشعر بأني أقف بأكثر البلاد سلاماً؛
كانت أمي تخبرني أن السلام الذي يظهر بعيون البعض، هو هدوء حرب علي وشك البدء، نظرت له ثم عاودت النظر للطريق؛
أكثر ما كنت أؤمن به، أن عالمه جميل، يسحبك بحبٍ غريب،

برغبةٍ مفرطة، أغانيه جعلتني اشعر أن البعد عنه أشبه بالبعد عن الألحان وهجر أكثر الكلمات تأثيراً. . . . . !
ربما حينما تحب عالم أحدهم، تبدأ بحب انمحائه برفق، تدرك أكثر مناطقه إزعاجاً، وأكثرها هدوءاً، الحبُ رويداً رويداً، لا يُنسي، لا يشبه الحب علي عجل الذي يحبك، لأنه أراد حبك، أخشاه بقدر خشيتي من أن يحبني أحدهم من الكلمة الأولي . . . .

ربما عالمي كان خرابٌ إلى حدٍ كبير، ولكنه قابلٌ للتعمير، من الظلم أن أظهر مدني الجميلة التي لم يخدشها جرحٌ بعد، من الظلم أن لا يري خرابي تماما كظلمه لي الآن . . . !

نظرت له وأنا أضحك: أنت مجنون. .
نظر لي بعدم فهم؛
أبعدت شعري عن عيني ثم قلت بمرحٍ :يعني بتعزم واحدة متعرفهاش أصلاً !
نظر لي وصمت؛ ثم عاد ينظر للطريق، كان يصدمني في كل مرة يفضل عدم الرد. . . .
نظرت للطريق الذي لا ينتهي كنت اعلم جيداً أنه طريق أسكندرية.
همست مع نفسي :حد يتعشى سمك، ده أنت غريب أوي !

ضحك فضحكت؛
للطرق سحرٌ آخر، بعضها يذكرك بالماضي، والبعض يذكرك بالمستقبل تماماً، كذلك الطريق !

أوقف سهيل السيارة أمام مكان خالي من كل ألوان البشر، أنا وهو والسحاب والبحر؛
نظرت له بتعجبٍ، خرج من السيارة وفتح بابي، أمسك يدي وبدأ يسير بي، كنت أشعر بالشلل، أشعر بالشلل بجانب مجنون، يعشق الأغاني والغموض !
سرنا للإمام قليلاً، كنت أداعب خصيلات شعري بيدي التي علي ما أظن كانت متمردة علي ذلك السهيل؛
جلس أمام البحر، جلس فحسب، نظرت للسماء ثم لهاتفي، التاسعة !!!
جلست بجواره بسكون وأنا أضع حذائي بجواري؛
نظر لي بحنانٍ ثم قال: بتخافي من البحر صح؛
نظرت أمامي بصدمة ثم بلعت ريقي بصعوبة، أخافه، لأنه يحمل انتقام القصص، أؤمن أن أمواجه هي محاولاته للانتقام، لا يهم أن كان الشخص الصحيح أم أنه شخصٌ غير متواجد في تلك القصة، أخافه لأنه أعمق من أن ننظر له من بعيد، وابعد من أن نقترب منه، لأنه يشبهنا إلي حد الهروب،

أومئتُ له مؤكدةً كلامه دون أن انظر لعينيه، اعلم أن العيون تحملُ أسرارنا. . خوفنا. . خذلاننا. . ألامنا. . وبعض تحطمنا، وربما بعض القصص الغير مكتملة؛
شعرت حينها بالرغبة في الهروب بجوار غامض جذاب، وأمامي البحر وحولي اللاشئ، حتى الهروب فكرةٌ منطقيةٌ إلى الحد الذي لا تجذبني؛
كانت رائحةُ أمي حولي، وذلك اللامنطق الذي أحببته؛
استلقى علي الرمل وأغمض عينيه لينام، نظرت له ثم حولي باستنكار، ابتسمت ونظرت له من جديد وأنا أعضُ علي شفتاي، لم أجد يوماً أسواراً حامية كتلك التي تحيط عينه، كانت عينيه مدينة، ورموشه سورها المتين، وذقنه السوداء الكثيفة تطفئ وجهه بحنو، كان راقيٌّ، شموخٌ به بعض المرح، ابتسم وهو مغلق عينيه، اعتقد أن أسوار تلك العيون
نبأته أن عيني تلاحقه، رفعت عيني للسماء ثم استلقيت بجواره، وأغمضت عيني بجوارِ نجمٍ لا يضئُ فحسب، بل يقتحم . . . !

***

أقف علي أعتاب نفس الغرفة، بخوف، بي سوادٌ غريب، فُتِحَ البابُ دخلت برفق، كانت المرة الأولي التي لم يغار الباب علي من الهواء؛ ظل مفتوحاً وظلت أحد قدماي بالخارج، ولكنها حقاً تطفؤ في الهواء، أنا لا ألمسُ أرضاً!!

كان سهيل يُدهنُ جزءً من الخراب، وأمي تنظر له من بعيدٍ وتبتسمُ بحنان، تنظر له كما كانت تنظر لي، تدفئ حواسه بخضرة عينيها، كان عنيفاً يمحو الخرابَ بعنفٍ يؤذي قلبي، ابتسمت حينما مزج بعض من لون الأخضر بالأرجواني، نظرت في النهاية كان حولي معمر؛ بعض العمار يهدم أحاسيسٍ آخري، وبعض العمار ندرك جيداً أنه لا محالَ سُيهدم بشكلٍ يؤلم أكثر من خرابه الأول؛
نظر سهيل لي بكل قسوةٍ جعلتني انظر خلفي بسرعة، نظرت لقدمي التي لا تلمس أرضاً، كان الخارج مُظلم ينتهي بضوءٍ خافت يُخيفُ أكثر من تلك الظلمةِ التي تحيطُ بي؛

***

فتحت عيني بفزعٍ، كنت أشعر بنفس الحرارة التي يخلقها سهيل لي، بدأ يداعب شعري برفق،
همس بلين :صباح الخير.
نظرت للسماء، كانت الشمس تحيي السماء بلطف، كان الشروق بجوار ذلك الغامض !
قلت بتعجبٍ :اشمعنا أسكندرية.
نظر للبحر وقال بتلقائية :عشان أول ما بتيجي سيرة البحر بنفتكر أسكندرية؛
رفعت أحد حاجبيي باستنكار.
نظر لي وقال :متنميش باللينسيز تاني.

ضحكت ثم قلت بتعجب :أنت مين ؟
قال بتلقائية وهو يضحك: أنا سهيل !
ابتسمت ثم نظرت له وقلت وأنا أمسك يده :سهيل مين ؟
نظر بداخل عيني وكأنه يدرسها جيداً ليسهل عليه احتلالها، كان حاداً حنون، لا أدري كيف تجتمع القسوة والحنان معا، ولكني رأيت، رأيت سلامٌ وحربٌ، لا أدري أنا كنت أين !
كان ينظر لي بسلامه أم بحربه !
شعرت للمرة المليون أني بحاجةٌ لحضن أمي،
قام وهو يحمل حذائي بيده: يلا العشا خلص،
أي عشا ذلك وأنا أموت جوعاً!
قمت ثم قلت وأنا أسيرُ أمامه وانظر له: أنا جعانة
ضحك؛ وقال: بعد كل ده !
أومئت برأسي بدلع
ابتسم وقال وهو يتأملني :أنتِ حلوة أوي.
ابتسمت بخجل ثم سرت بجواره كانت قدمي العارية تغرس بالرمل، تخطو آثارها لشاطئ تلك المدينة، كنت أشعر بسعادةِ طفلةٌ شاهدت البحر لأول مرة، وقُيل لها أنتِ جميلة للمرة الأولي، نظرت له وابتسمت بفخر؛
بعض الرجال النظر لهم يكفي لنشعر بالشموخ، بعضهم لمسه يديهم تشعرنا بالأمان، وبعضهم يكفي طيفهم لنشعر بالغضب

والخوف؛
ومع البعض نشعر بالحب ،الحب فحسب
لا أدري أي تلك المشاعر كنت أشعرها له، كنت أشعر بحيرة ربما كان يستحق أن تُهدأ له كل تلك الأحاسيس، الخوف والغضب والحب والأمان، ربما كان يستحق أن تضمه يدي بغموض كما يفعل !

***

استيقظتُ علي صوت -نسيم- التي تغني من المطبخ، قُمتُ بكسلٍ وابتسمت؛
كم اشتقت لها !!!!!!
أشعر أنه قد مر عام علي آخر مرة شعرت بحضنها، مشيتُ برفقٍ، كانت تعد الطعام، ابتسمت لروحها الجميلة، أحب تفاصيلها الواضحة، عينيها كانت تأسرني، قدمها الصغيرة كنت تراها لتلمس الحرية بكامل روحك، ركضتُ وحضنتها من الخلف؛
قلت بمرح :يا أميرتي.
نظرت نسيم لي وابتسمت بدلع :صباح الخير.
قلت وأنا أجلس علي رخام المطبخ: صباح النور.
قالت نسيم وهي تغمز لي :مين مخلي عينك تلمع كدا !
أمسكت الملعقة التي بجواري ونظرت منها علي وقلت :عيني بتلمع !

نظرت لي نسيم باستنكار؛
فضحكت وقلت :معرفش حاسة أني مبسوطة؛
قالت وهي تجلس بجواري :أنا كمان مبسوطة، رجعتي زي زمان ضحكتك حقيقية وبقيت لامسة سعادتك بقيتي بتنوري زي زمان؛
قلت بهدوء: حاسة إن ماما حوليا.
نظرت لي نسيم وقالت :مين محسسك بطنط
ثم ابتسمت بفهم؛
صمت قليلاً ثم قلت :معرفش صدقيني معرفش؛
ثم نزلت وقلت بمرح: حابة فستان خطوبتك يبقي أزاي.
نسيم وهي تبعد عينيها عني: أنا خائفة.
أمسكت يديها وقلت بعدم فهم :من إيه ؟؟
قالت بخوف لمس روحي:عارفة لما تحسي أنك خايفة تفهمي، خايفة تقرري قرار يكبرك وتكوني سبب تعاستك، أن يكون اختيارك عشان تبقي سعيدة سبب موت روحك، خايفة أكبر أوي؛ خايفة أشوف الدنيا بجد عشان عارفة أن الدنيا الحقيقية مش زي الحاجات اللي مؤمنة بيها وكبرت جوايا؛ خايفة تختفي لمجرد أني كبرت، خايفة أقف بعد ما كنت أنا اللي بجري اللي حوليا؛
نظرت لي بألم وقالت :خايفة أعوز.
كنت أشعر بذلك الخوف من يديها التي تزيد تعلقها بي.
ابتسمت بمرح وقالت :عاوزة فستاني يبقي أزرق، عاوزاه سيمبل

أوي.
قلت بسعادة :تعالي.
دخلنا لغرفتي؛
قلت بمرح :أنا هرسم كذا حاجة وأنتِ هتساعديني طبعاً؛
فكرت قليلاً ثم قلت :ممكن نتفرج علي كذا موديل وناخد من كل فستان حاجة ونعمل حاجة جديدة. .
قالت نسيم بسعادة وهي تنظر للفساتين من علي الانترنت: حلوة الفكرة دي.
نظرت لي وقالت: بحبك.
أنا أيضاً أعشقك يا نسيم، يا كل أحلامي، يا أجمل ورود بستاني، كانت أمي دوماً تخبرني، أن هناك شخصٌ ما في تلك الحياة لابد أن يكون مُلهمُك؛
أن يكون تلك اليد الأولي التي تود أن تمسكها حينما ينتهي دمارك، لأنه هو الذي تود أن يعمر ذلك الدمار، أخبرتني أن أكبر الكذبات هي أننا نختار من يقع معنا، أننا نختار من يبقي واقفا يجمع دموعنا ليسقي بها الأرض الخراب حينما نود أن نسقيها، ليس من يمسح دموعنا لأنه لا يعجبه حمرة أعيننا، نحن لا نبحث علي تلك الأيادي التي تلمس يدينا، بقدر ما نبحث علي تلك الروح التي تجدد روحنا . . . . !
نظرت نسيم وابتسمت، كنت ألاحظها وهي تراقب خطوات يدي

التي ترسم أحلامها، كانت تبتسم كطفلةٍ تنتظر هديتها الثمينة علي روحها؛
أغمضت نسيم عينيها وبدأت تغني؛
صوت نسيم ليس كأي صوت، كان لصوتها لحنٌ مميز، كان ينطق بالحرية حقاً، كان يطير ويسحب يدك معه لتطير، ويبقي ممسك بها حتى تصل للأرض دون أي خدش أو جرح، صوتها يشعرني بالسلام والراحة، بالحب والود، وربما بعض الكره والغضب؛
كانت حنونة قاسية، لقد أصبحت مؤمنة أن الحنان والقسوة قد يتواجدوا في وعاءٍ واحد، في عبارة واحدة وشعورٍ واحد، ربما بنظرة واحدة !!
أتذكر جيداً نسيم حينما تغضب؛ كنت لا أجدها نسيم، تتحول لعواصف مدمرة، تقتلك و تلقيك أرضاً، ثم تهدأ وتحرمك من النسيم والعواصف !
تعطي أمرها للشمس بأن تكون ملكةُ الأرض وتختفي هي؛
كان انتقامها يؤلم بهدوء ولا يُنسي، تخيل أن تتذكر شخص بمجرد أن تري الشمس أو بمجرد أن تلمسك بعض الرياح، أن يداعب وجهك أو بعض خصيلات شعرك تصور !!!!
نسيم كانت تحب بصوتها، كلما شعرت بدقات قلبها تُهديها بلحنها، كانت كلما تود أن تذكرني بحبها تغني. . . !

***

كنت أقف أمام فستان نرجس، قررت أن أضع به كل حبي، كنت أنهي به بعض التفاصيل، ابتسمت وأنا انظر من بعيد علي الفستان، كانت المرة الأولى التي ابتسم بها لأحد أعمالي، جلست علي مكتبي كنت أفكر بذاك النجم البعيد؛

غريبٌ أمره، يطلب مني موعداً ولا يسألني عن رقم هاتفي، يضئُ وقتما يشاء، يظهر ثم يختفي؛

مر يومين؛ غداً هو اليوم الذي ستستلم به نرجس فستانها؛

تأففتُ بغضبٍ، سمعت باب الأتيلييه يُفتح، ابتسمت ثم نظرت لبعض الأوراق أمامي؛

سهيل بحنان :يا آنسة.

رفعت عيني وابتسمت، ابتسمت !!! أحبُ لحظاتي بمفردي، تلك التي أكون فيها مواقف، وأنا قررت أن ظهوره لن يجعلني ابتسم، لابد أن اغضب،

يغيبُ ويظهرُ كيفما شاء!

لكن شفتاي تخون، قال وهو يجلس أمامي :قلت أجي فجأة، ممكن أشوف عينيك من غير لينسيز؛

ضحكت وقلت :دا في أحلامك.

قال وهو يبادلني الضحك: أنا في أحلامي أصلاً. .

نظرت له وابتسمت، ابتسم وقال :خلصتي فستان نرجس أومأت بنعم، قام وبدأ يسيرُ حول الفساتين وقف أمام نفس الفستان،

فُستانُ أمي؛ نظرت له وأنا أجلسُ مكاني، فتحتُ درج مكتبي، ونظرت لرسمتي، ثم رفعتُ عيني له. .
قال بشرودٍ بارد :عاوزك تلبسي الفستان ده في فرح نرجس . .
نظرتُ له بتعجبٍ وقلتُ ببرودٍ أشعلَ قلبي :اشمعنا !!

قال بتلقائية لم تلمسني: شبهك أوي. .
نظر لي ثم قال وهو يبتسم :هيبقي حلو عليكي. .
صمتُ ولم ينطق لساني بحرفٍ، أشعر من صميم قلبي بالغيرة، لا أدري ما سببُها، ولكنه يقف أَمامي؛ وينظر لفُستانِها وكأنه امتلك العالم بأكمله، شعرت أنه يشوق لأمرٍ له علاقة بجمال الفستان علي قطاً وكأن الفستان أمامه يذكره بأَمرٍ ما، أمرٌ غاب عنه وربما أرادني لأني أشبه ذلك الأمر . . . .
وضعت يدي علي شعري وسندتها علي المكتب وبدأت انظر له كان يتأمل الفستان، يلمسه بحرارة غريبةٌ لمست روحي، كانت نظراتي تتحول لاستنكار ومن استنكار لغضبٍ، بعض المشاعر التي نشعر بها لا يُطلق عليها اسم، وبعضها يتوهم بلا أي سبب، وبعضها يطرق بابنا بلا أي معني !!!!
أمسكت قلمي وبدأت ارسم جلس، سهيل أمامي وبدأ ينظر لي بسلامٍ واضح؛
رفعت عيني له أعلمُ أن خُضرة عيني تستفزه. .

سألته وأنا ابتسم ولم أتوقف عن الرسم :بتحب اللون الأخضر مش كدا !
ضحك بتلقائية ولم يرد؛
نظرت له بغضبٍ، اعتقد أنه وصل لعمق قلبه؛
سألته وأنا أنظرُ لعينيه كما ينظر لي دوماً: متحكيلي عنك؟. .
ظل محدق بي كطفلٍ أبله لا يدرك معني السؤال، لأول مرةٍ شعر بقسوة نظرتي، ليس لشئٍ سوى أنني رأيت قسوتي من انعكاس عينيه، نظر لي وهو يلؤم كل حواسي؛
مددت يدي له بتلقائيةٍ أبتسم، أمسك يدي، شدها له وضع رأسه عليها؛
رفعت حاجبي بسلامٍ وحنان، شعرت بأني أود أن تتوقف كل الرسائل بداخل جسدي، أن يتوقف جهازي العصبي، وأن يرفض استقبال أي أمرٍ، أود من جسدي أن يُشل حتى لا تزعج رأسه التي أتكئتَ علي يدي. .
أخذت يدي إلى، رفع عينيه وبقي يترقب حركتي، جلستُ أمامه علي الأرض، أمسكت يده، جلس أمامي علي الأرض، ضممته لصدري بكل صدقٍ يحمله العالم، أغمضت عيني وسمحت لكل العالم أن يتوقف. . .

وقفت أمام نفس الباب الذي يستقبلني كل مرة، لم ادخل تلك المرة بقيت بالخارج، حولي ظلام غريب، كأنه ظلامٌ بارد !
أنا كنت أقف علي اللاشئ، حتى الهواء كثيراً علي وصف ذلك اللاشئ؛
نظرت علي الغرفة وأنا فالخارج، كانت كما هي رأيتني أجلس علي الأرض وسهيل في أحضاني، أمي تقف بعيداً تنظر علينا، رفع سهيل عينيه لأمي ورفع يده التي كانت تلمس ظهري بحنان، رفعها بسكينٍ أنيقٍ يحفوه الورود حادٌ قاسي، نظرت له أمي بغضبٍ عاتبة؛
كانت تبكي وهي تحاول أن تقترب، ولكن كلما كانت تقترب كانت المسافة التي تفصلها عنا تبتعد، بدأت تنادي علي بشوق، ولكني سقطت وأنا خارج تلك الغرفة. . .

فتحت عيني بفزعٍ ككل مرة يؤلمني قلبي، أبعدت سهيل عني وأنا انظر بعتاب، كانت ظالمةٌ نظراتي، ولكنها نبعت من داخل أعماقي، أبعدته بقسوة، نظر لي بتعجب؛
قلت بدون أن انظر له :عاوزة أروح.
قمت أخذت مفتاح سيارتي ومفتاح الأتيلييه وحقيبتي، نظر لي باستنكار خدش قلبي. .
نظرت له وأنا ابتسم :هتفضل في الأتيلييه ولا إيه.

قام من علي الأرض وغادر أمامي دون أن ينظر لي.
أحياناً اشكر الله علي ردود فعل من حولي الغير طبيعية التي تتناسب مع غرابتي؛
نظرت لسيارته التي تغادر، ثم ركبت سيارتي وغادرت.
اتصلت بنسيم التي ردت بمرح :تعالي يلا أنا في المطعم.
قلت: تمام.
زين بمزاح :متتأخريش يا سنيوريتا.
ابتسمت ثم اتجهت نحو مطعم نسيم، ذلك المطعم الذي يكبر بقلبي بشكل لا يصدق،
ركنت سيارتي ونزلت منها، دخلت المطعم، نظرت عيني لأحد الحوائط بتلقائية، إنها صورة أمي تملئُ المكان، ابتسمت بشوق، نظرت لنسيم، وقلت بهدوء: المطعم بقى حلو أوي.
أعطاني زين عصير البرتقال بيدي، ابتسمت جلست معهم؛
قال زين :عاوزين نضبط معياد للخطوبة.
نسيم وهي تنظر لي :هو مستعجل أوي.
قلت بتلقائية :علي الأقل يقابل خالتك.
نسيم :تمام هقولها.
نظر زين لنسيم نظرةً لم استطع نسيانها، كان لأول مرة يعاتب حريتها، يخافها، رغم أنني دوماً كنت أراه ممتناً لأنها علمته الحرية.

زين تعلم الحرية من نسيم، تعلم منها الحب والسفر والطيران، تعلم الصمود والأغاني.

ما ذلك الألم الذي يجعل من امتناننا يوماً عتاباً !!!!

صمت وضعت كوب العصير علي الطاولة وبقيت أُراقب هروب نسيم وعتاب زين، نظرت لصورة أُمي التي تملئُ المكان بالسلام، كان زين أيضاً قد يأس من أن يفيده العتاب، رفع عينيه وبدأ يتأمل أُمي، كنت أري في عينيه رجاءاً، ولكن من يرجو وعلي ماذا !!!!!!

قد تخونك الرسائل، ربما العيون وقليلٌ من العبارات التي أرسلتك للسماء، قد تخونك الأيادي، و نجوم السماء ربما ترشدك للمكان الخاطئ، ربما تخونك الصور القديمة، والألحان التي تركتك أصحابها، ربما يخونك الكون بأكمله، ما أخافه حقاً أن تخونك روحك . . !



ادخل من ذلك الباب، نسيم تدهن حوائط الغرفة بعشوائيةٍ مؤلمة، نظرت لقلبي بألم، كان يدق بعنف، كان زين يقف بعيداً ينظر لها بعتاب، نظر لي عندما وضعت قدمي بداخل الغرفة ليُغلق الباب خلفي، نظر لي برجاء، نفس الرجاء الذي كان يرجو به أُمي، اختفي كل شئ -نسيم وزين- ونظراته، نظرت للحوائط كانت كما كانت قبل أن تبعثرها نسيم، اختفت بعثرة نسيم للألوان معها،

كان اللون الأرجواني والأزرق والأخضر يملئوا حوائط الغرفة بتناسقٍ غريب، ظهر سهيل بكل شموخه، نظر لي بعتابٍ مؤلم، نظرت حولي ثم وقفت انظر لسهيل، جلس وأسند ظهره بالحائط الذي يكسوه اللون الأخضر، كان هو من صنعه بعناية، رفع عيناه لسقف الغرفة، رفعت عيني انظر للسقف، كانت السماء تظهر من سقف الغرفة بجاذبية، وضعت يدي علي قلبي، كان يدق بقوة، سهيل يسند رأسه هنا بعالمي!!

يحبني هنا بعينه، يلومني ويعاتبني !!!

دورت حولي ابحث عن أمي، زين، نسيم المكان خالي، أنا واقفة بلا هدف، وسهيل غارق بسقف عالمي لا يود الذهاب من عالمي.

ابتسم سهيل، رفعت عيني للأعلى ، كان شهاباً يهرب من السماء بعيداً عن غرفتي، نظرت لسهيل وأنا ابتسم ولكنه اختفي . . . !

استيقظت وأنا أدعك عيني، نظرت حولي وأنا أضع يدي علي رأسي، ابتسمت وأنا أسند رأسي علي ظهر سريري، لم أعد أنزعج من الحرارة التي تسري بجسدي، قمت من علي سريري بفتور، أحياناً كل ما أرغبه في الحياة هو النوم، أن لا أُغادر سريري، أن أسمح لكل حواسي بالنوم، حتى عقلي الباطن وألام روحي ودقات قلبي المتمردة علي كل أفكاري!

خلعت ملابسي وسمحت للماء بلمس كل ألمٍ يسكنني، هو أطهر علاج للألم يطرده من الجسد بلا خجل، خرجت؛ نظرت للمرآة، ملامحي اليوم بها أمرغ ريب لا أعرفني؛
كأن كل الخذلان الذي دوماً كنت أهرب منه قرر أن يُعَرفُني بنفسه اليوم.
أبعدت شعري عن عيني، ارتديت ملابسي ووضعت من عطري المُفضل، أحب الروائح تلمس روحي وتغير مزاجي، قد يكون الأمرُ غريباً، ولكني قد أكرهه مكان لمجرد أن حواسي لا تلمسه، لا تشمه ولا تسمعه. .
لا أحب الأشياء التي لا تحملُ ملامحي، دخلت غرفة أمي، جلست

علي سريرها ونمت وأنا أضم وسادتها باشتياق.
نزلت من البيت، ركبت سيارتي وأنا أضع نظارة الشمس، مررت علي المطعم، وددت أن أفطر هناك أمام صورة أمي التي زينت كل المكان؛
نسيم بمرح :هعملك فطار وجيالك.
جلستُ أمام صورة أمي، جلس زين أمامي صامتاً لأول مرةٍ، أجده هامداً هكذا؛
قلتُ بمرحٍ: مالك يا شبح.
زين وهو يبتسم علي مضض: بالك وجودي هيحبس نسيم.
ثم تنفس بعمقٍ وهو يقول :أنا عرفت نسيم وهي بتغني وبتجري وتسافر وتطير وتحلق، عرفتها وهي سعيدة بتحب الحياة؛
ابتسم بغرابة ثم أكمل :أنا عمري ما شفت حد الحياة بتحبه كدا، مش عاوز أكون أنا عقاب الحياة ليها، مش عاوزها تبطل تغني وتحب، مش عاوز أبقى نهاية حكايتها، نهاية بعدها مش نقطة حتى، أنا مش عاز أكون مضطر أتعرف علي نسيم تانية، أنا أخري فنجان قهوة ومكان مفهوش صداع، وبحس أني مالك الدنيا؛
بالك هخليها سعيدة !!!!!
مسحت دموعي التي لامست خدي، لا اعلم لماذا بكيت، ولكن كل الأشياء الصادقة تحيي الألأم داخلي؛
نظرت لنسيم القادمة بالفطور، حتى ردي حرمته الدقائق منه . !

ابتسمت لزين، ابتسم؛ ثم نظر لنسيم التي وضعت الطعام أمامي؛
قام زين بعد جلوس نسيم.
قلت للتساؤل: أنتم متخانقين !!!
نسيم وهي تأكل :تؤ، أنا وزين مش بنتخانق؛
ثم ابتسمت وهي تضع أمامي قطعة خبز بمربتي المفضلة.
أكلت منها ثم قلت بجدية :أنتِ عاوزة إيه مينفعش تعيشي من غير خطط. .
نسيم بتلقائية: زين هيقابل خالتو النهاردة، وهنشوف بقى.
لا اعلم بما تفكر نسيم <كانت تتقلب بطريقةٍ مفزعةٍ حتى لون عينيها كان يتلائم دوماً مع مشاعرها،
نظرت نسيم لزين الذي يقفُ بعيداً،
ثم نظرت لي وقالت :بحبه أوي.
ابتسمت بحنان؛
قالت نسيم وهي تترك الملعقة من يديها :أنا بس خايفة، خايفة أكبر، خايفة أتغير، خايفة أتوجع وأوجعه معايا. .
رفعت عينيها التي تملأها الدموع وقالت :خايفة؛
لم أجد عبارات يمكن أن تغير شعورها وتطمئنها، كنت بحالةٍ أحتاج بها للأمان فكيف أعطيه !
أنا أحب اللاشئ، الامتلاك هو أكثر الأشياء رعباً، يُهدينا خوف الفقد؛

أمسكت يديها وأنا صامتةً تماماً؛
جلس زين ثم قال: تروحوا أسكندريه !
ابتسمت، أسكندريه !!! ثم ذهبت ابتسامتي؛
نظرت بتساؤل؛
ابتسم زين وقال :تغير جو يعني.
فكرت قليلاً ثم قلت :أنا عليَ شغل كثير الفترة دي روحوا أنتم.
نسيم بسعادة:موافقة.
ثم سكتت قليلاً وقالت :بس المطعم !
نظرت لهاتفي الذي يرن كانت نرجس،
نظرت لنسيم ثم قلت :أنا لازم أروح الشغل، لما اخلص نبقي نضبطِ الدنيا.

***

وصلت الأتيلييه اتصلت بنرجس؛
ردت بصوتها العذب :أنا علي الطريق.
قلت وأنا أقف أمام فستانها :مستنياكي.
أغلقت معها، نظرتُ للمرآة وعدلت شعري، فتحت حقيبتي ووضعت أحمر شفاه، ثم جلست علي مكتبي وبقيت منتظرة، كم أن الدقائق تصبح ساعات !
قمتُ وبدأت أدور حولي، صنعت كوب شاي، سمعت صوت الباب ابتسمت بقلق وقمت ثم جلست من جديد؛

كانت نرجس أمامي، سكت قليلاً وأنا انتظر دخول سهيل ولكنه لم يأتي؛
نظرت لها وقلت :اقعدي؛
ثم قمت وأنا أسألها :قهوة !؟
فكرت قليلاً ثم قالت :ماشي مضبوطة.
ابتسمت ثم نظرت لها :أومال فين سهيل،
نرجس بتلقائية صدمتني: سافر.
نظرت لها بتعجبٍ؛
فقالت بتوضيح :بيضبط الحاجة هناك عشان الفرح، علي فكرة سهيل هو اللي قالي عنك وأصر أعمل الفستان هنا.
أبعدت عيني عنها شعرت بشعورٍ غريبٍ من كلامها !
وضعت القهوة أمامها وجلست وأنا أشعر بالقلق
ابتسمت بمرح ثم قلت :يارب يعجبك الفستان.
نرجس بسعادة :أنتِ عارفة أنا مبسوطة جدا أني عملت فستاني هنا، أنا بحب مصر جداً.
كمان أنا وسهيل قربنا من بعض شوية، هو مش قريب مني أوي من ساعة ما سافرت، وبقى بعيد عني، بصي مش هكدب، سهيل كان أكبر مني، ويوم لما بابا قرر أسافر فضل يزعق ويعيط، كان دايماً جمبي، بطلي، يعني مشاكل المدرسة كان بيحلهالي كلها، حكايتي وقصصي كان مشاركني بكل حاجة، هو أتصدم من فكرة

أني وافقت أني أسافر، حاسة أني أتخليت عنه !
صمتُ قليلاً وأنا أحاول أن اجمع كلامها، هناك جرحٌ من مكانٍ ما عرفت سره، ولكن شخص مثله أعلم جيداً أنه يمتلك الكثير من القصص. . !
رأت فستانها، كنت أشعر بجمال الفستان بعينها، هكذا تنعكس المشاعر من أعيننا دوماً؛
أحب شعور الامتنان الذي أشعره من الآخرين لي. . كنت أود أن ينتهي يومي. . كنت أود العودة لسريري. . .

***

-يبقي شيئاً لا تقوله العيون، شيئاً يأبى القلبُ الاستجابة له، أحدُ الذين أحببتهم تركني حيث كنت بحاجةٍ له، وأنا لا أكتب لك هذا عتاباً فقط، اكتبه علي سبيل الكتابة، أنا لا أكتب إلا لمن أحبهم، من كامل قلبي بكل صدقي لمن حقا لن انزعج أن داعبوا خصيلات شعري، لمن لم أتردد في البكاء أمامهم لأني انهزمت، ربما قد تكون مختلفاً قليلاً، ربما ولكني لست متأكدة، قلبي يبهرني كثيراً، أنا لا اقبل الأمور التي تأتيني بعدما فقدتها من قبل أنا أحارب كل وقتي، ولكني حينما اترك سيفي ابتعد واترك كل ما ورائي حتى قطرات دمي، لذا لا تتعجب من قسوتي، ولا يغرك حناني، أنا لا أؤمن بصفاتي، إنها الواحدة صباحاً، ولكني لن أهديها لك، الآن ربما أهديها لك في العام القادم، حينها ستبهرك حروفي،

وربما تقرر العودة وقد أعيد أبهرك أيضاً، ما أود قوله هو أنك بين أشيائي، لقد سمحت لك بمسك يدي وقد كنت بغاية الحنان، حتى أنني كدت اعتقد أنك لن تتركها مطلقاً، سمعت أحداهم من قبل يخبر أحداهم، أن الترك يظهر من الإمساك، لا أدري لما تذكرتها ويدي بيدك، ولكنها جعلتني ابتسم ابتسامة سلام، لأني أدركت أن الحرب قد حان لها أن تهدأ، وربما شعرت أنك ستحارب بدلاً مني ولأجلي، ماذا تعلم ؟
الترك يظهر من الإمساك حقاً، ولكننا كالعادة نفهم الأمور كما نشاء أن نفهم، الترك يظهر من الإمساك يا تاركي . . . . -
ابتسمت وأنا أطبق الورقة بأحكام، أكره الذكريات التي لابد أن تكون ذكرى لغيري، ولكنها تاهت وبقت معي. . .
مسحت دموع عيني لا أعلم متى كتبت تلك العبارات، كان يومٌ باردٍ، تذكر برودته، حتى إن البرد دخل لعظامي، ونمت بعدها أسبوعين كاملين ولكنهم هانوا، كانت أمي بجواري تبتسمُ تارة، وتبكي تارة، تُداعبُ شعري كثيراً، رغم أنها تعلم أنني لا أحب أن يلمس أحدهم شعري، لن اكذب قد فادني تلك المرة، مؤلم أن أكتب رسائل الوداع، والأكثر ألماً أن تكتبها بعدما أُعلن مكان الوداع، وقد فاتك الوقت ولم تعد تستحق حتى الوداع، أخاف أن أكتب مثلها يوماً لأحدهم، لن يتحمل قلبي تلك المرة . . . .

***

نظرت علي باب البيت وهو يدق، تركت فطوري فتحت الباب، كان زين؛ ابتسمت له،

قلت بمرح :حماتك بتحبك، كنت بفطر.

رفع حاجبه باستنكار ثم دخل، أمسكت بشالي الأصفر الذي وضعته علي كتفي؛

سأل زين بتساؤل: أنتِ اللي عاملة الفطار دا.

ضحكت. وقلت :متخفش كل.

ضحك وقال وهو يأكل: مسافرة أمتى.

قلت وأنا أمسك بقطعةٍ من الجبن :بعد بكرة.

جلسَ صامتاً، نظرت له ثم سألته: قبلت خالة نسيم؟

نظر لي وقال: أه بس نسيم مش لأقيها.

سكتت وأنا أكمل فطوري، أنا اعلم أين تكون نسيم عندما تود الهروب، ولكني لن أتكلم؛

قلت بمرح :هتبقى مخطوبة يا بطة.

ضحك وقال بمرح :مش لاقية عريسي.

ضحكت ثم قلت وأنا أجري للمطبخ :قهوة يا صاحبي.

قام ورائي وقف أمام الرخام الذي يفصل المطبخ عن الصالون؛

سألني بتعجب :هي نسيم حبت قبل كدا !

أنا لم أكن علي دراية بعلاقة زين ونسيم ولكنهم كلاهما صديقان لي؛

نظرت له ثم وضعت كوب القهوة أمامه، جلس علي كرسي أمامي منتظراً إجابتي؛
ثم قلت :نسيم عمرها ما كانت بتوضح اسم العلاقة حتى علاقتي أنا وهي، هي كدا بتختفي فجأة، وبتظهر فجأة، بس لو بنتكلم عن أختي اللي عشرتها، فهي عمرها ما حبت غيرك عشان هي بتعرف تهرب، وهي فعلاً مش عاوزة تهرب هي عاوزاك، وجواها شوية حرب، حتى أنا معرفش أمتى هتخلص. .
سكتت ثُمَّ أكملت مُغيرةٌ الموضوع: سفر أسكندرية دا خطة بجد عبقرية، بس استنا أرجع من باريس عشان اخلي بالي من المطعم
زين بامتنان: مش عارف أقولك إيه بجد. .
أبعدتُ شعري عن وجهي ثم قلتُ بمرحٍ :تعال أوريك هلبس إيه في فرح نرجس. .
زين بمرح :أنا بغير يا سنيوريتا مش عاوز اسمع أن حد حاول يشقطك هنا ولا هنا. .
ضحكتُ ثم قلتُ :أنت مش عاوز تفرح بيَ ولا إيه، بعدين ديه فرنسا. .
رفع عينيه وقال وهو يضحك :الشرع محلل أربعة، وكدا بعدين بتقارنيني بالفرافير دول !
ضحكت ثم أخرجت الفستان، ابتسم زين بإعجاب، وقال :هتبقي تجنني. .

سألته :بجد !!!
أومَ برأسه مؤكداً. .
قلت وأنا انظر للفستان :دا فستان ماما أصلاً. .
تنفس بعمق واكتفى بالنظر لي
ثم قال بحنان :هوصلك المطار أنا تمام. .
رفعت له كفي وقلت بمرح :اتفقنا .
ضرب كفي بكفه وضحكنا.
سألني : رايحة الشغل.
قلت بكسل :أخذت أجازة بقى. .
زين بمرح :أنتِ مدلعة أوي.
قلت وأنا اضحك: نق عليَ بقى.
زين وهو يغادر :لا يا سنتوريتا أنا أقدر، هروح المطعم اوك.
قلت :تمام هنزلك كمان شوية.
أومَ موافق ثم غادر. .

جلست اشرب فنجان قهوة، أحياناً لا أصدقني، أحب الماضي جداً، أشعر وكأن هناك خيطٌ طويلٌ يزدادُ طولاً كلما زادت أيام حاضري، ولكني أخاف، أخاف أن ينعقد ذلك الخيط ولا أتمكن من العودة لمكاني وأن أتوه من نقطة بدايتي، أخاف أن ينساني حاضري، وأن يغادرني ماضي، وأن لا تصنع مستقبلاً،

أيُ مستقبلٍ ذلك بلا ملامح !
أيُ مستقبلٍ هذا وأنا قطعت الخيوط التي تصلني بنقط حياتي.
أودُ كثيراً بمن يمسك بيدي، كطفولتي لست مضطرة لحفظ الطرق ولا المسافات، اشتقت للسير بلا هدفٍ، ولا خطأٍ، ولا أمرٍ يسحق لي أموراً لا أود موتها.
أنا اشرب قهوتي، أنا لا أؤمن بالاستمرار، كلها شهرين وسأتوقف عن شربها، ربما أتذكرها بعد خمسُ أعوامٍ آخري، ربما اعشق لوقتها الشاي الذي لا أطيق رائحته، الغريب ليس عودتي لحب القهوة التي توقفت عن حبها من قبل خمس أعوام، الغريب حقاً أنها لا تذكرني به، لا تذكرني بآخر كلمةٍ قالها بكل قسوة: أنا بحبك بس لازم أبعد، أنا أتجوزت.
ابتسمت وأنا انظر للقهوة، بالي من كاذبة، ها أنا متذكرة العبارات والكلمات والنبرة!
تقتلني نبرات الأصوات، ذلك هو السبب الذي جعلني أريد أن أسمع صوت سهيل.
تغزو قلبي الأصوات، وتصدى بأُذني، لا أنسي
. . . . . . لا أنسي انعقاد الحاجبان وحركة الشفاه ، لا انسي تشابك الأصابع وحركات العيون، أنا لا انسي الشعور والأحاسيس، ولا أحب أن تموت الذكري، ولكن الأجل ملك الله، أنا انساني فحسب، انسي ردودي ومستوي ضغط دمي في بعض اللحظات، أنا لا

أنكر فترات حياتي، ولكني ألومها كثيراً من الأوقات، نظرت لكوب القهوة أمامي، ثم غسلت الفنجان، ودخلت البلكونة ضممت الشال حول كتفي بعناية، نظرت حولي، أنا لا أحب أن انتمي لمكان، لأني اعشق اللاسبل، ولكن أمراً ما يحدث لي عندما أقف في ذلك المكان، أشعر أن ذلك المكان جزءٌ مني قطعةٌ من روحي، أحب السكون الذي يحيط بي، والظلام الذي يلونه به ضجيجٌ هادئ.

أحب أن أشعر الهواء، أغمضت عيني وأنا أسمح للهواء أن يداعب شعري بكل حرية، جميلةٌ هي الحرية يا نسيمي، جميلةٌ يا جميلةُ روحي؛

تنفستُ بعمقٍ، خطر ببالي سهيل؛

ماذا يفعل الآن ؟

من الغريب أن تضم روحاً لا تملك أي وسيلةٍ للاطمئنان عليها، ولكني أشعر برأسه علي صدري دوماً، أقدر غرابة تلك العلاقة وشعوري الغريب تجاهها؛

ابتسمت بجراءةٍ، ليس الجميع يحالفه الحظ ليعيش القصص الغريبة!

هناك أمرٌ أُومن به جيداً، أن غرابةَ القصص يكمن بالأشخاص، لذلك لا أحب العاديين، أحب أولئك الذين يؤمنون أن النجوم ماهي إلا أشخاصٌ ماتت وتركت آثرها في الأعلي، أحب أولئك

الذين يؤمنون أن المطر هو دموع السماء لتشفئ قلوب من في الأرض، أحب أولئك محرفين الطبيعة، نظرت لأحد النجوم التي تلمع بشدة ثم ابتسمت بسلام . . . . !

***

نظرت لزين وهو يغلق باب المطعم لينتهي اليوم، نظر لي وجلس بجواري؛
نظر لصورة أمي ثم قال :مامتك حلوة أوي.
ابتسمت له بامتنان.
زين وهو ينظر لي :عارفة كل ما ببص علي صورة مامتك بفتكرك علي طول، متخيل مامتك كانت بتضحك زيك، بتسكت زيك، حاسسها حطت روحها جواكي، مش سهل حد يبقي حتة من حد ثاني صدقيني .
أنا عشقت كلماته حقاً، ليس من السهل أن تخدشك العبارات. . !
سألته بتعجب :أنت منين يا زين.
زين بمرح :من بلاد الله، ثم ضحك
أكمل قائلاً :أنتِ ونسيم علمتوني أن مش شرط عشان نبقي صحاب أننا نبقى عارفين كل حاجة عن بعض؛
نظرت له وابتسمت بحنان، من الجيد أن نتعلم كيف نختار من يتقاسموا معنا الحياة بالنظرات وسلام العيون !
أبعدتُ خصيلات شعري عن عيني، ثم أغلقت جاكتي الجلد

وقلت بمرح :عاوزة عصير برتقال.
زين بمرح وهو يركض للمطبخ :حالاً يا سنيوريتا.

***

ستتعالي الأصوات من حولك، وفي بعض الأوقات لن يسعك حتى أن تسمع صوت انطلاق نفسك، ستسجن ولن تجد من يسحبك من ضجيجك، حتى من كانوا هدوئك سيختفوا دون أي مبررٍ مثل نفسك، لا يمكنني نصحك، ولكني أسمع الضجيج ذلك جيداً، سيشبهك كثيراً، وربما يهديك طريقاً وسط اللانفع ربما ينقذك.

كنتُ أرتدي فستان أُمي، هو نفسه الذي قرر سهيل أن يراني به، دخلت لنفس الغرفة، أُغلِقَ البابُ بقسوةٍ خلعت قلبي من موضعه، اختفي الباب، كان المكان من حولي جميل، كنت أشعر بالهواء من حولي، ورائحته لطالما كانت تسكن روحي،
نظرت لسهيل الذي ينظر لي بحب، كنت في منتصف الغرفة، شعرت بالحوائط تهتزُ بعنف، وضعت يدي علي أحد الحوائط التي أعلنت علي الحرب من قوة دقها، ثم وضعت يدي علي قلبي، كم تتماثل بالقسوة !!!
نظرت لسهيل الذي يسير نحوي بخطواتٍ هادئةٍ غريبةٍ مثله، ثم أكمل سيره بعد أن وصل لي، نظرت خلفي نحو خطواته، كانت أمي تلبس فستانها !

أنزلت عيني لأنظر لي، كنت عاريةً في جسدي، خدوشٍ لا أشعر بألم منها !!!
نظرت لي بقسوة أمي التي لم تنظر لي بتلك القسوة وهي تتنفس هواء الأرض، تنظر لي الآن بها !
بدأت الحوائط تتشقق، كنت أري حركة دقاتُ قلبي التي تعلنها ضلوع صدري؛
أمسك سهيل يد أمي ولم ينظر لي، فقط نظر لها يداعب شعرها؛
فتحت عيني ثم وضعت يدي علي رأسي ثم قلبي،
كان يؤلمني بطريقةٍ مزعجة، كانت الحرارة تسري بكل جسدي ولكني تعودت علي ذلك الشعور،
قمت من علي الفراش، نظرت حولي ثم وضعت شعري خلف أذني، أخرجت أحد شنط السفر من تحت السرير وبدأت أضع فيها بعض الملابس، نظرت لصورة أمي ثم وضعتها؛
وصلت عيني لفستانها، نظرت له بحذر ثم تنفست بعمقٍ، فكرت قليلاً ثم وضعته بعنايةٍ وأغلقت الحقيبة، نظرت لهاتفي ابتسمت وأنا أرد :زين !
زين بمرح :يلا افتحي.
ذهبت للباب وأنا أسال بتعجب :أنت برا.
نظرت له وهو أمام الباب وأنا أغلق الهاتف وابتسم.
قال وهو يدخل للمطبخ :جبت كيلو برتقال.

ضحكت كثيراً أنا لا أحب البرتقال، أحب عصيره فحسب، ترددتُ كثيراً أن أخبره؛

كيف يمكن أن أقسى له تلك المعادلة !!!

قررت أن أتذوق البرتقال، أحب أن أفعل كل شئ خاصةً مع أحدهم، أحب الذكري، تلك التي تبقي مهما غاب أصحابها دوماً للأبد، ليس كوعودهم؛

أصبحت اللقطة الأولي البرتقال تذكرني بزين؛

قال زين وهو يقطع البرتقال :نسيم ردت عليكي

أومت بالرفض.

قال متسائلاً :نتفرج علي فيلم ؟

قلت بمرح :أنا اللي هجيب، هوريك فيلم يجنن.

قال برجاء: الله يخليكي بلاش بؤس، كدا كدا أنا مكتئب لأنك مسافرة.

ضحكت ثم قلت وأنا افتح التلفزيون :ملكش دعوة بقى.

زين وهو يأكل من البرتقال :أنتِ كئيبة، أنا عارف، مليش دعوة معناها إيه.

قلت وأنا اضحك :ما بلاش حموضة

بقى روح اعمل فشار.

زين وهو يضع طبق البرتقال أمامي ويتجه للمطبخ، فكرة في منتهي العبقرية.

انتهيت من تحضير الفيلم، ثم نظرت لزين وهو يضع الفشار؛
اعتقد أن بعض العلاقات لها لذة خاصة، تهديك الراحة والسكون دون أي مقابل، دون انتظار للعبارات أو الإنجازات الكبيرة.
بعض العلاقات تزينها النقاط، وأنا اعشق النقاط، تلك التفاصيل التي تهدي الكلام صوته وجودته وصدقه !
اخترت فيلمي المفضل - before we go -
شعرت أنه يليق علينا اليوم . . . . اليوم فقط !
أنا أخاف الوداع، أحب الاختفاء دون ألم وبكاء، دون أحضان وبعض الدموع، العالم كبير بقدر كبره يصغر علينا، يدور ويدور ويقرر في لحظة ما بعد هجرتنا وبعدما أن نقابل الأشياء التي هربنا من وداعها وربما هي من هربت منه، لاشك الوداع مؤلم، وضياع فرصته في الوقت المناسب ألمٌ من نوعٍ آخر، أتعجب ترتيب مشاعرنا المبعثرة؛
السلام والحرب، الرغبة واللامبالاة، الحب وبقايا الكره، الذكري والنسيان !!!!
كل ذلك يسكن نواحينا. . . ، الغريبُ أن مظهرنا من الخارج يُظهر لاشئ؛
أؤمن أن فرط الشعور يجعلنا لا نشعر؛
شدة الألم تجعلنا لا نشعر بنزيف الجرح، وشدة الحب تعلمنا أن ننسحب. . . ربما عباراتي لا تلمسك ولكني أؤمن أن هناك حرف

ربما حرف وسط كل تلك الجمل سيعيش بداخلك؛
أنا حقاً أخاف الشعور، أخافه وأشعره بكل جوارحي !!!!!!!

كنت منتبهة جيداً لنظرات زين بين الحين والحين، كنت منتبهة لضحكاته علي بعض اللقطات، ولصفونه في البعض الآخر؛
نظرت لزين ثم للتلفزيون، أنا لا أحب الفشار، ولكني استمتع بأكله، بعض الأشياء لا نحبها، ولكننا نستمتعها، رفعت عيني لزين.

***

ارتديت فستاني الأسود، كان يظهر قدمي من بداية ركبتي، يظهر كتفي وممتلئٌ بالخرز من الأعلى، ولكنه هادئ لا يُلفت، وضعت عطري المفضل، نظرت للينسيز السوداء أمامي، ابتسمت ووضعتها، كنت أُحارب عيني ليتقبل استقبالها؛
أنا اعشق العيون السوداء وإن تحدثنا عن الحق أنا كنت فاتنة بذلك اللون، كان يليق علي ظلمة عالمي؛
أجيدُ حب العيون، ولمسات اليد، والعبارات والنظرات، وأنا عشقت عيني اليوم من جديد؛
رفعتُ حاجبي بتعجبٍ أمام المرآة، ثم ابتسمت؛
ارتديت حقيبتي الباك، أكره تلك الحقائب، ولكنها مناسبةٌ للسفر؛
نظرت لبابي الذي يدق، ركضت وأنا ارتدي حذائي الرياضي؛

رفع زين القبعة التي كان يضعها، قال بمرح: جاهزة يا أميرتنا.
ضحكت وأنا انظر له، كان يرتدي ملابس شوفير خاص.
قلت بتساؤل :أنت إيه اللي عامله دا.
ضحك وهو ينظر لي ويبتسم؛
صمت قليلاً وقال :هتوحشيني.
ملت رأسي وأنا أنظر له بحنان :مش هتأخر.
دخل ليحضر حقيبتي ومفتاح سيارتي؛
ركبنا السيارة وقاد زين؛
لن اكذب إن قلت أنه لم يضحكني أحدهم كما كان زين يفعل؛
كان يبعثُ بروحي أماناً بشكلٍ ما، أمانٌ لا يصاحبه خوف الحذر والمكابرة بالاعتراف، أمانٌ يكسوه راحةٌ مفرطةٌ، كان ذلك الأمان لا يخصني، وليس ملكي، ولا ملك نسيم حتى؛
وصلنا المطار، وتوجب علي الوداع، كنت بحاجة لمن يمسك بيدي والطائرة تطير، لا أهاب الطائرات، أحب أن أجرب الأمور الجديدة، أحب الأشياء البعيدة، ولكن قلبي كان يدق بسرعة غريبة، أنني في الطريقُ لسهيل؛
البعد يُعلمنُا الاشتياق، ولكن القرب يعلمنا اشتياق آخر . . . !
أغمضت عيني ونمت، أحب النوم في الأماكن الغريبة. . . . ربما كان اختيارٌ خاطئ؛

كنت أقفُ على أعتابِ نفس الباب، شعرت بخوف الدخول، ولكني دخلت واختفي الباب، هناك خرابٌ غريبٌ، تلك الغرفة لم تصل يوماً لحالة العمار الكامل، لكنها في حالة جيدة إلى حدٍ ما.
لا سهيل، ولا أمي، ولا نسيم، ولا زين،
أنا وحدي تماماً، وقلبي يؤلمني، وها هي الحيطان تعبر عن ألم قلبي. . استيقظت؛ نظرت حولي بقلق، ثم سكنت للنظر للكوكب من بعيد، جميلةٌ الصور الكاملة، وضوحها مبهم، ولكن كمالها فاتن، لهذا ابتعد سهيل؛
اشتقت أن أضمه، ما اسم هذه العلاقة؛
حقاً لا أدري ولا أريد أن أدري، أحب اللا أسماء، أحبها بشدة؛
أريد أن تنتهي تلك المسافة، أن أغمض عيني وافتحها، وأجد نفسي تحت نفس السماء التي يراها سهيل.

***

في الواقع أنا أحب لون الأحمر علي، خاصةً أن كان به رائحةُ أمي ولمسات سهيل؛
كان يُزينُ كل تفاصيلي بجمال، ولون عيني الأسود كان أكثر ما كنت سعيدةٌ به، ابتسمت وأنا أنظر للمرآة، وضعت حلق أذني الأسود الهادئ، وعقدي الذي يكتمل مع حلقي، ارتديت حذائي الذي رفعني من علي الأرض قليلاً؛
نظرت للساعة؛ كانت الثامنة. . جلست علي الفراش، كنت

سعيدةٌ وكأنها المرة الأولي التي اختارُ ملابسي بحرس من أجل أحدهم، كنت اسمع دقات قلبي ولكنها كانت لا تؤذي روحي كدقاتي العادية؛

نظرت لهاتفي إنها نسيم؛ أرسلت لي رسالة: أتصوري يا كلبة.

وقفت بسرعة أمام المرآة والتقيت صورةٌ وأرسلتها،

أرسلت فويس بصوتها الذي أعشقه :الله بجد شكلك يجنن. . وحشتيني أوي أوي. . أنا أسفة أني اختفيت فجأة، بس والله كنت مش قادرة أتعامل خالص.

ابتسمت؛ صوتها هو الأمرُ الذي يجعلني أسامحها دوماً، وتلك العيون التي تحيط بروحي دوماً؛

اتصل زين بي مكالمة فيديو؛

:تؤتؤ إيه دا يا سنيوريتا، أنا بغير.

ضحكت ثم سألته وأنا مستوعبة: كلمت نسيم!

زين :أه واتصلحنا، ارجعي بقى عاوز أروح أسكندرية.

ابتسمت وقلت بمرح :حاضر ياعم شد حيلك بس.

قال وهو يضحك :خالي بالك من نفسك يا أميرتنا؛

ثم نظر لي وقال :وأوعي توجعي قلبك.

كنت بحاجة لنصيحة كتلك، لمست روحي، ولكني لا أُجيدُ الإنصات، أتركها للذكري، أنني ماهرةٌ في لوْم نفسي علي كل حال، ليس وقت الإنصات، أنا أريد سهيل بكامل روحي .

نزلت لقاعة الأفراح، الأفراح هنا لا تشبه تلك التي بمصر، هنا يحتضنها رقيٌّ ممل، كنت أبحث عن سهيل؛
سمعت صوت من خلفي يغزو روحي :بتدوري علي مين ؟
لففت له ثم اتسمت وقلت بتلقائية :وحشتيني.
ثم ضممت حاجبي بتوترٍ وأبعدت عيني عنه وأن أضع يدي علي شفتاي؛
ابتسم وهو يسحب يدي ويرقص بي، أنا لم أكن أعلم أنني أدري شئ عن الرقص؛
آه، الحب يبهرنا بمواهبنا المكتومة؛
همس بأذني: Tu es belle
أحب الفرنسية وربما اعشقها أكثر الآن . .
قلت وأنا أحاول إتقان اللغة : merci
ضحك ثم ضحكت بتلقائيةٍ شديدة، وخرجنا من ذلك الفرح الممل، طبعا لن أنكر جمال نرجس في ذلك اليوم؛
كنت في شوارع باريس، هنا في باريس تشعر وكأنك انتقلت بالزمن، كل شئ مأخوذٍ من الماضي، حتى الموسيقي، لابد أن تذكرك بماضي أنيق، حتى لو كان ماضيك لا يلتقي مع الرقي بأي سبل؛
تلك البلد تقدر الماضي جيداً، وأنا أحببتها؛
أما سهيل كان رائعاً وجذاباً بطريقةٍ أربكت كل كياني؛
ذلك اليوم ذُقتُ كل أطعمة باريس، باريس لها نكهةٌ مختلفة؛

بعض الدقائق تتمني أن تتحول لعمر لا ينتهي يسجنك في ثوانيه؛
نظر لي سهيل وابتسم :عينك تجنن.
ضحكت من قلبي خلعت حذائي وركضت بسعادة؛ كان ينظر لي بحنان، اعتقد أن عمري لم يكن ثماني وعشرون، حتى عمري وكأنه عاد لثامني عشر؛
كان قلبي أعلن بكل صدقٍ أنه أحبه، ولكني لا أصدق القلوب كثيراً؛
ليس من الصعب لمس النجوم؛
نظرت له وأنا أضع رأسي علي كتفه والمس وجهه بهدوء، شعرت به يملئُ روحي؛
قلت بهدوء يلائم ما أشعره: أنت مين؟
ضحك داعباً شعري وقال :في قديم الزمان ياستي كان في أميرة، الأميرة دي مكنتش عايشة في قصر زي كل الأميرات وهي مكنتش عارفة أنها أميرة أصلاً؛
نظرت له بتعجبٍ وأنا اضحك :إيه الحدوتة المحروقة دي.
ضحك ثم حملني بين يده :أنا مبعرفش احكي حواديت.
نظرت له بتعجبٍ، نظر لي نظرةً فسكت، مع سهيل لا يمكن أن ترفض، أما عني فكنت اسعد من في العالم؛
نظر لي بسلام ثم همس:أنا عمري ما هأذيكي.
نظرت له باستنكار، أنا آخر ما أرغب سماعه هي تلك العبارات،

لا يمكنني أن اطمئن منها، ربما تزيدني خوفاً، ولكن من أنا ورفض حروفه؛
أملتُ رأسي علي كتفه وتركتني له بكامل رغبتي؛
سهيل أنزلني، شعرت بالماء يلمس قدمي، ضحكت ثم نظرت له؛
سهيل وهو يسحب يدي ليدخلني للداخل: شكلك منزلتيش بحر بالليل؛
نظر لي ثم قال بشر مُصطنع :بيقولوا بيبقي في جن بيسحب رجل الجميلات.
قلت بشر وأنا أُحيط يدي حول رقبته وأهمس له: بيقولوا في جنيات بيخطفوا الرجالة الحلوة بالليل؛
ثم ضحكت وأنا انظر لعينيه :بس أنا مش هخليها؛
ابتعدت وبدأت أُداعبه بالماء، أنا أخاف البحر وكنت خائفة، ولكن الخوف معه مُختلفٌ تماماً؛
نظرت له بامتنان وضحكت
همست له :سهيل؛
همس لي بحنان :عمره.
قلت بمرح :في حد بيسحب رجلي.
ضحك ثم قال وهو يحملني :مش يلا ننام بقى.
قلت بتعجب :ننام أزاي ؟
نظر لي باستنكار ثم قال :أزاي!

ثم ضحك؛
أنا كنت أُريده حقاً، وكنت أعلم جيداً أنه يريدُني أو يريد الفستان الذي علي، لا أعلم. . . . !

***

-كلمة حلوة أو كلمتين حلوة يا بلدي. . . -
اشتقت لمصر لنسيم وزين؛
لم يكن شعري مرتبٌ لأول مرة، أفهم سبب حب أمي للشعر القصير، ضحكت ثم وضعت نظارة الشمس، غادرت الفندق بعد أن ودعت نرجس وسهيل أو بعد ما ودعني هو، وعدني أنه سيأتي بعد يومين، أنا لا أصدق الوعود كثيراً ولكنها تؤثر عليَ، تؤلمني؛
الأمرُ صعب أن أرجو كل عابر وراحل أن لا يعدني، لأنني دوماً بعد رحيلهم أنساهم وتبقي وعودهم تسكن روحي؛
إنه نداءُ رحلتي، أتذكرُ نزلت المطار هذا وأنا أشعر بالإعجاب، ولكن مصر حقاً تسكن كل كياني؛
ركبت الطائرة، ركوب الطائرات أشبه بالطيران المُقيد؛
أنا لا أعرف جنوب السماء ولا شمالها، تظن أنك حر وأنت جاهل لا تعلم أين أنت، حتى الصور الكاملة التي تراها لا تعلم هي صور لأي كمال !!؛
وضعت الحزام وأغمضت عيني، بدأت افتحها علي مهلٍ ونظرت لقيدي بسعادة. . .

نظرت لنسيم وأنا في المطبخ، أخرجت الكيك من الفرن، كانت نسيم تُغني وزين للمرة الأولي كان لا ينظر لها سارحاً لا أعلم لأين!؟

أنا لا أفهم زين رغم أن نسيم لا يمكن فهمها، إلا أنها لا تثير رغبتي بالفهم كما يفعل زين؛

ربما السبب بالنتيجة، بعض النتائج تظهر من البداية، طريق فهم زين ربما كنت أراه بعيداً، ولكنه ليس بمعقد، كمتاهة نسيم؛

نظر لي زين وابتسم وغمز لي، كنت اعلم أن باريس غيرت بي قليلاً، جعلتني أسعد، أخاف السعادة ولكني الآن أريد أن أعيشها؛

نظرت للكيك بأسى، ثم نظرت لهم وقلت :في مينيو بتاع محل حلويات في البيت هنا بس تحفة، طبعاً هنحتاج ندور علي المينيو؛

ضحك زين وقال :أنتِ أكيد نسيتي تحطي سكر.

قلت ببراءة: هي انحرفت مش فارقة بقى.

نظرت نسيم لي ثم ضمتني وقالت :وحشتيني أوي وهبلك في المطبخ ده وحشني أكثر؛

ضحكت وأنا أنظر له باستنكار؛

أنا لا أحب الطبخ، لا أملك ذلك المزاج، أنسي وضع السكر والملح؛

جلست علي رخام المطبخ وأنا انظر لهم، من الجيد أن تغادر وتعود لتجد من ينتظر رجوعك، من الجيد أن لا تختارك الوحدة دون عدل الخيار، من الجيد أن تمر سنينك ولا يظهر حروف

اسمك في تفاصيل يومك . . . !

***

أظن أنه كان يتوجب أن أنسي باريس قليلاً
أنهيت عملي في الأتيلييه كانت-نسيم- تسألني عن سبب أنني لا أسلم الأتيلييه لأحدهم وارتاح أنا
ولكن الأمر اكبر من الراحة، أنه ذكراي، وطني الأول وسلام حروبي، أنا بكيت هنا أكثر من بكائي علي فراشي، ابتسمت كثيراً، أحببت وفارقت، لا يمكنني أن أسمح لأحد أن يشاركني في ذكري هنا أن يحب أحد أركانه معي وان تهواه رائحته فلا ينساه، أريده أن يكون مكان هروبي الوحيد والأبدي، مكاني وحدي !
ارتديت نظارتي ثم ركبت سيارتي فتحت أغاني -سهيل- كنت ابتسم بشوق
كانت أمي تخبرني أن الشوق يصنع من ابتسامتنا لحن أخر يجعلنا نشعر بالألحان بطريقة أخري تلمسنا العبارات والكلمات، ربما تحمينا ونفسها تعذبنا، ولكنها تستحق، الحب يستحق أن تُكسر لأجله.
في النهاية هل يمكن لأحد أن يكره الحب!!
أنا أريد أن أشعر كل شئ ، أخاف من أن لا أشعر من فرط الشعور ولكني أريد المجازفة سأحاول أن أصل ليده . . . . . .
وقفت أمام المطار كنت انتظره أنا ودقات قلبي

سمعت صوته من خلفي : بتدوري علي حد !
يا إلهي أنا من يتوجب أن اهمس له اليوم، ما هذا الهراء!
لففت له ثم ابتسمت شددت يده لسيارتي
وضع حقائبه ثم سند بجواري علي السيارة
قلت بتساؤل : هتوحشك باريس؟
فكر قليلا ثم نظر لي وابتسم وهو يبعد خصلات شعري التي يداعبها الرياح : مش أكتر ما وحشتيني
ابتسمت وأنزلت عيني
قلت بمرح: إسكندرية
رفع حاجبه بتعجب ثم ضحك وهو يقول :أركبي يلا
بدأ يقود السيارة واليوم كنت أملك كل الحق في أن أنظر له حتى انتهي من رسم كل تفاصيله داخلي، مؤذية لروحي أنا، في النهاية نحن نشك في لون البشرة، ربما ننسي لون العيون، ولا نستطيع التميز بين حجم الأنف، ولكننا نتذكر بجدارة، الابتسامة وردات الفعل النظرات، وتعبير الوجه الذي قد ننسي ملامحه، لا ننسي طريقة لمسهم، ولا كلام شفاتهم، لا ننسي السعادة التي تظهر تحت عيونهم التي قد نسينا لونها، لا ننسي لون الملابس التي اعتادنا رؤيتها عليهم، وبعد ذلك سنراهم في كل شئ ، قد لا يتشابهوا مع البشر بلون عينهم ولا جمال ملامحهم ولكن ما ظلم أن أتذكره بمجرد رؤية اللون الأسود !!!

أنا أُذي كل حواسي وأنا ارسم تفاصيله ، ماذا لو اكتفينا بالملامح !
تلك التي تمحيها السنين بغبار رحيلهم !
مؤلمةٌ، حتى خيالنا مؤلم. .
ركن السيارة في طريق أسكندرية، مهجور ولكنه يلائمنا جدا. . ً
أسند رأسه علي كرسيه ولف جسده لي وبدأ يتأملني يعذب روحه مثلي !!
ابتسمت وأنا أحاول أن لا أشوش رسم عقلي
أحب السكوت ، لا أحب الرقص والصوت المرتفع والتصفيق ،لا أحب المرح بقدر حبي للصمت بجوار من أحبهم أحب تأمل لحظاتهم التي لربما تحيط بيهم بوحدتهم ، أحب أن أشارك من أحبهم بصدق بوحدتهم ، استطيع دخول العوالم ما أخافه دوما أن أتوه عن عالمي يوماً ، لم أكن أرغب أن اخفي وجهي في حضنه كنت أريد رؤيته ، أن ألمسه ويلمسني ولكن ليس اللمس المعتاد، ليس اللمس الذي لابد من أن تشعره ، كنت أريد أن المسه ويلمسني باللمس الذي لا تستوعبه كل البشر

***

ها هي الغرفة تصبح حديقة أنا لا أنكر الخراب الذي يكسو أطرافها ولكنها ما زالت تُبهر
الهواء كان رائع ولون الأشجار كان به خضرة جميلة ، أجمل ما في الأمر أن لا باب يختفي ، لم تكن أمي و لا -سهيل- في المكان ، كنت

وحدي ربما لذلك كان هادئ لا يؤلمني ضجيجهم . نظرت لبعض الزهور الذبلة كلها الزهور التي تحبها أمي ، مسحت الدموع التي غادرت عيني ثم أكملت المسير ، مشيت طويلاً كنت حافية علي العشب كان يداعب قدمي بحنان

وقفت أمام باب مقبضه مفقود ولكنه سمح لي بالدخول دفعت الباب ودخلت ، رفعت حاجبي بتعجب أنها الغرفة ذاتها وها هي الألوان ربما تحضنني اختفي الباب ، كل شئ كما هو ولكنه مؤلم لا يحضنني ككل مرة ، حتي لا يقسو لا يدق ، بلا ملامح ولا معاني بلا أمي وبلا -سهيل-

استيقظت لا أشعر بشئ حتي دقات قلبي لم اشعر بها

وعدني سهيل أن يكون في المطعم علي الحادية العشر ، ربما اشكر -زين- و-نسيم- كثيرا بعد عودتهم من تلك المدينة التي لابد أن تتذكر البحر عند سماع حروفها

ارتديت ونزلت مسرعة كنت متأخرة قليلاً ، كان -سهيل- ينتظر أمام المطعم ، ابتسمت لا شعورياً أنا خلفه للمرة الأولي

همست وأنا أشب لأصل لأذنه: بتدور علي حد

نظر لي ثم اقترب وقال : لا

قلت وأنا اهرب منه : اوك مفتحتش المطعم ليه !

فتحته دخل -سهيل- وهو ينظر حوله كنت أتأمله وهو يدور حول المكان عشقت اللون الأحمر عليه !

وقف أمام صوره أمي كنت ارتب المكان ولكن عيني لم تبتعد عنه ، وقف هكذا نصف ساعة كاملة اعلم أن أمي جميلة إلى حد أن تنظر لها كل سنينك دون أن تشعر بالملل أو قطرات من التعب بلا أن التعب يغادر حينما يلمح ملامح وجهها لن أكذب كنت أشعر ببعض الغيرة

مسحت دموعي وأنا انظر لأمي من بعيد

أنزلت عيني ثم بدأت أراقب العمل في المطبخ وفي الخارج أيضاً، ساعدني سهيل بعد أن أخذ طاقته من صورة أمي، صورة!. !

نظرت للمطعم بعد أن انتهيت العمل ، كان سهيل جالس ينظر لها كان بريق عينه ينعكس علي لوحتها

وضعت أمامه عصير ليمون وحقاً لا أدري ما سبب اختياري لليمون. لكني أكره الليمون وشعرت أني أريد أن أنتقم من عينيه، ولكنه كان له رأي أخر، شربه بكل حب ولم تنزل عينه من علي الصورة.

صدمني كثيراً

قلت بمرح : متخرجني بكرة ؟

أومَ برأسه راضياً ، ضممت حاجبي بغضب كنت أود المغادرة ولكني شاركته بالنظر لأمي . آه لو تعلم من تلك المرأة تلك التي جعلتك تراني ، كان مجازاً بحق عباراتي ، كان مجازاً مؤلم آلمني طوال أنفاسي ......

كان اليوم العاشر أجلس علي أرجوحتي أنظر أمامي ، سماء وأشجار ورياح ، أختفي النجم الذي يزين تلك السماء لا تغنيني كل تلك التي تملأ السماء عن نجمي
اختفي !!!!
نظرت لهاتفي الذي أعلن عن وصول رسالة
زين: نفسي أشوفك علي فكرة
ابتسمت رغم أنني لم أكن أريد الابتسام، أريد النوم الآن ذهبت لفراش أمي ثم استلقيت
: ماما وحشتيني ياريتك جمبي مش كنا نفهم سهيل ده سوا !
أنا بحبه أوي يا ماما بحبه أوي تعبت يا ماما مش قادرة أحاول ولا أحارب ومش عارفة أوصل مش يلا بقا ارجعي قوليلي ، قومي ارجعي قوليلي أني هقدر، ارجعي ساعديني، مش عاوزة ابقى لوحدي يا ماما أنا مش هعرف أقوم لو أتوجعت من غيرك مش هعرف !! ارجعي
بكيت كثيراً ، أكره الوداع يا أمي ولكني لا أحب الابتعاد الذي يخلو من بعض العبارات بعضها فقط أنا اعلم أنه من الصعب العيش بدون أسئلة فقدت إجابتها ، ولكني بحاجه لبعض العبارات
أتذكر وداعي الأول والأخير كنت في العاشرة لا يمكنني نسيان ذلك الرقم ، كنت علي اضطرار من أن أودع جدتي ماذا عساي أن أفعل !!!!

كنت في حضنها حينما قررت روحها أن تفارق الحياة حينها أخبرتني : أوعي تكوني شبه اسمك
نظرت لسقف غرفة أمي وعيني تكسوها الدموع أنا أول مرة أتأمل ذلك السقف وقفت علي السرير
ولكني كنت أقف أمام نفس الباب ولكن تلك المرة لم ادخل أنا أهديته ظهري ليهديني أعراضه كان غلقه تلك المرة عنيف إلي حد الذي جعل دقات قلبي تصل لأذني، نظرت خلفي بغضب ولكنه كالعادة اختفي
مسحت دموعي بطرف بلوزتي ، لم يكن حولي خراباً ولكنه سواد بلا ملامح سرت بلا هدي ،كنت أشعر بدقات المكان التي تتناغم مع قلبي ، سمعت صوت أمي تغني بهدوء ابتسمت بسلام كنت اتبع صوتها حتى أوصلني لمكان أعرفه جيداً ، نظرت حولي أنها غرفة أمي !!!!!!!!

***

كنت جالسة في الأتيلييه -نسيم- و-زين- قد عادوا ،
و-سهيل- لا أعلم لم يعد موجود
قمت من علي مكتبي وبدأت أنظم الأتيلييه قليلاً ، اليوم كان الكثير يزور الأتيلييه ، كنت أود الصراخ بالجميع ،و لكني كنت مضطرة أن أصمت ، كانت أمي دائماً تطلب مني أن لا اضطر أن لا أتصنع عندما كبرت أدركت أن التصنع أصعب من أن نكون

أنفسنا ، حتى أن كانت أنفسنا لا تطاق ، لا اعلم كيف أنتهي اليوم ولكنه أنتهي وصلت لفراشي ولم أكن أعلم كيف وصلت كنت أظن أن يومي لن ينتهي غريبة روحنا تتمني النهاية أوقاتاً، وأوقاتاً أخري نلؤم الأنتهاء علي ما فعله بروحنا !
أمسكت هاتفي وبدأت أقلب قليلاً فيه، أنا لا أحب الهاتف، أحب أن آري ما أريد وهو أمامي
لا أحب الشاشات وعلامات الترقيم التي لا تضيف للعبارات معني أحب غضب العين واستفساراتها، أحب أن أسمع صوت الصراخ للتأكد من الغضب، وأحب فلت الأيادي بحق اللمس ليس بعبارات الكتابة، أحب كمال الشعور لذا لا تروقيني تلك التكنولوجيا البعيدة. . . . . .

***

نظرت نسيم لي وهي في المطبخ رفعت عيني لها ثم ضممت حاجبي وعاودت الرسم؛
قلت :شاكة في إيه ؟
نسيم وهي تضحك :فيكي، مالك ؟؟؟
قلت بتلقائية: برسم.
نسيم باستهبال: اوووووه بجد !
ضحكت ثم قلت: تعالي طيب أنتِ وحشتيني أوي.
نسيم وهي تجلس أمامي :بقولك زين عاوز الخطوبة تبقي أول

الشهر.
قلت بسعادة وأنا اترك قلمي: الله.
رفعت كتفها ثم ابتسمت بغموض؛
قلت وأنا أمسك يديها: مبسوطة ؟
نسيم وهي تبتسم: أنا بحبه.
كان رداً غريباً بالنسبة لي ولكني لم أعلق، ابتسمت ثم ركضت بمرح لغرفتي وأحضرت فستانها؛
ضحكت نسيم وقالت :لالا مش دلوقتى؛
ثم قالت متذكرة :متنسيش فستانك.
نظرت لها مستوعبة ثم قلت: أنا عمري ما عملت فستان ليَ !!!
ضحكت نسيم ثم قالت :باب النجار مخلع؛
الحق معها أدرك جيداً أنني لن أرتدي شئ من صنع يدي، لا اعلم ما سر ذلك الأمر، ربما يمتزج بتصاميم مشاعري المضطربة، ربما وحدي من سأشعر بها إذا لمس جسدي.
ومن المجنون الذي يفضل ارتداء مشاعره؛
تركتني نسيم، أحب بيتي وهو خالي، أشعر براحة واطمئنان، أنا لا أحب الأشخاص كثيراً، ولكني أحب سهيل، أحبه كثيراً.
فتحت موسيقي في البيت، ودخلتُ لغرفة أمي، نظرت علي ركن ركن فيها، فتحت خزانتها، ملابس أمي بها روحٌ آخري مهما اعتقدت أن قطعة من تلك الملابس ستليق عليك فلن يحدث؛

أمي كانت مختلفة بكل ما تحمله الكلمة، كانت لا تسمع الألحان بأذنها فحسب، كانت تسمعها بكل حواسها، ربما كل قطعة من ملابسها تحمل لحنٌ مختلفٌ ورائحةٌ واحدة، حتى تلك الرائحة ربما لا تعمل مع جسدك؛
ابتسمت حينما تذكرت سهيل وهو يقرر أن ارتدي فستان أمي؛
أمي كانت تحب من كامل روحها، لم تخبرني يوماً عن أبي، حتى تلك الكلمة غريبة علي فمي، لا استوعبها، ربما لأنه ألمها كثيراً بعض الأمور لا تُفسر، تبقي بقلوبنا، لابد أن تؤذينا نحن وحدنا، مهما حاولنا المشاركة سيبقي معناها ناقص، لا يكتمل ولن يحدث؛ الكمال لم يخلق المشاعر، حتى الحب نتقاسمه دوماً ولا نستطيع تجميع قطعه، تبقي دوماً أحدُ القطع مفقودة، وكُلٌّ منا يلؤم الآخر علي فقدها؛
أنا حروف أبي تؤلمني عندما تقرر أن لا تشارك الألم، نخفيه فيؤلم الإخفاءُ من حولنا، ذلك تماماً ما حدث معي أنا وأبي، أنا لا ألوم أمي حتى إن شاركتني ذلك الألم، سأشعر نفس الشعور ربما مع بعض تفاصيله، لكن ما الفائدة الألم مازال ألم؛
نظرت للمرآة، نعم مرآة أمي، كنت ابتسم، أنا حزينة، لا اعلم ما تلك الابتسامة التي تكسو وجهي.
دوماً كنت استغرب أولئك الذين يبتسمون مع كل مشاعرهم، ينشرون سعادةً مزيفةً في كل ركن، السعادة الحقيقية تتحول

لتعاسةٍ يوماً ما، فماذا عن التزييف ماذا سيكون؛
نظرت للمرآة وتلك المرة ضحكت، خطرت علي قلبي أن أطلب رقم سهيل من نرجس؛
فكرت قليلاً، لابد أن أجد مبرراً لطلب رقم نجم؛
يجعلني كاذبة، لا اعلم من أين أتى هذا السُهيل؛
يجعلني أعيش مراحل عمري المختلفة، بعضها لا أود تذكرها؛
لابأس؛ سأمحو تلك الساعةُ من سن الثامنة والعشرون. .

***

نظرت لزين ثم شربت من القهوة؛
زين بتساؤل :أنتِ عاملة مصيبة!
افقت بضجر ثم قلت :القهوة فيها سكر.
نظر لي بتعجبٍ ثم ضحك :أنتِ طلبتي تبقي مضبوطة.
قلت بغضب: أَنت مش صديق وفي ولا مخلص.
ضحك ثم قال: إيه كمان ؟
قلت وأنا اضحك: المفروض كنت تقوله بدون سكر أنت عارف يعني؛
قال وهو يأكل من الأيس كريم :كنت فاكر عاوزة تجربي حاجة جديدة.
قلت بمرح :هتتخطبي يا بطة.
ضم حاجبه وضحك ثم قال :تصدقي مش مصدق.

ضحكت وأنا أقول :حاساك العروسة مش العريس؛
نظر لي بتعجب ثم قال بمرح :أحنا عندنا مشاعر بردو مش أنتم بس.
زين وهو يلعب بالورد أمامه: أعمل إيه يا سنيوريتا، ما صدقت وصلتلها، خايف ترجع تضيع مني، عاوزها دايماً جمبي.
نظرت له وأنا أبكي.
نظر لي بتعجب ثم قال بدهشةٍ: في إيه هو أنا حالتي فظيعة أوي كدا.
سكت قليلاً ثم قال بتساؤل :هرمونات صح.
قلت وأنا امسح دموعي بطرف بلوزتي :معرفش؛ متيجي نتمشى.
زين بمرح :يلا.
دفع زين الحساب وخرجنا، كان الليل اليوم مختلف كان الهواء به عطرٌ غريب؛
قال زين: بالك الدنيا صغيرة فعلاً.
قلت بتلقائية: مش صغيرة علي قد ما هي مدورة.
ضحك ثم قال :اللي بيمشي مش بيرجع.
وضعت يدي بجيب بلوزتي :بنظرية إن الأرض بتدور فلا مش بيرجع، بس زي ما أي نظرية فيها شواذ، بس مهما رجع اللي راح، بيرجع ناقص، بيرجع فاقد أكتر حاجة كنا متمسكين بيه عشانها، أو أحنا بنبطل مش عايزينها، مفيش حد بيملك حاجة كان خاسرها،

في النهاية محدش خسران كلياً، ولا حد كسبان كلياً، بس مع كل فراق أحنا بنفقد جزء منا، ده اللي بجد مش بيرجع حتى لو رجع الحد اللي سبب فقدنا لجزء منا، لو الميت بيرجع كانت أجزائنا رجعت، يمكن الدنيا بتلف وبتنسينا أننا خسرنا بإنسان ثاني أو انتقام محترم، نجاح، قوة بعد ضعف، أو مجرد راحة، مفيش حد خسران كلياً يا زين، ولا في حد كسب، زي ما مفيش حد هيعيش طول حياته ظالم ولا مظلوم؛

قال زين بهدوء جعل قلبي يصرخ :أنتِ عارفة ماما انتحرت.
قالها وكأنه يخبرني أن الطقس بارد قليلاً؛
ما ذلك الألم الذي يظهر منا هدوء؛
نظرت له بصدمةٍ ثم بدأت الدموع تتجمع بعيني ولكنه ظل ثابتاً لا تتحرك منه شعرة؛
قال بكبرياء طفل مُنعت منه الحلوي فقسى على روحه بعدم رغبة: سابتني بكل إرادة، انتحرت لما بابا مات، جت وقالتلي آسفة؛ بس الحياة وحشة من غيره، قالتلي أكبر وأنجح وأتعلم، وقتها مكنتش فاهم، طفل عمره عشر سنين بتقوله أكبر !!
ماما شافت الحياة وحشه حتى بوجودي، عارفة بابا لو كان قادر يوصيها قبل ما يموت، كان قالها خالي بالك من زين، بالك كانت هتخلي بالها؛

عارفة أنا عملت إيه وقتها؛
نظرت له وأنا ابكي، كان ساكن سكون السماء رغم عصيان البشر في الأرض؛
أكمل وهو ينظر لي :مسكت أيديها وقلتلها هحاول انسيكي الحياة الوحشة، قلتلها هكبر وأنجح، وهتفضلي تشوفيني وأنا ناجح، قلتلها بابا هيوحشنا سوا؛
ونمت زي الأهبل مطمئن في حضنها؛
صحيت لقيتها مشتعلة قدامي، انتحرت !سابتني بعيط لوحدي سنين، سابتني بابا بيوحشني لوحدي، سابتني بعاتب نفسي كل يوم عشان هي بتوحشني، عشان بتوحشني واحدة هي اللي رزقتني الحياة وسابتني عشان الحياة وحشة؛
حتى مقلتليش أنجح أزاي وهكبر أزاي؛

أمسكت يده بقوة؛
قال وهو يضحك بسخرية: لا متمسكهاش جامد كدا؛
نظرت له وأنا أجلس علي الرصيف :بعدين عملت إيه.
جلس بجواري :زي أي طفل ممكن يعمل، فضلت أعيط وأنا مخبي وشي، كان نفسي أقولها ليه؛ ليه سابتني كدا، بابا كان غالي جداً، طيب أنا ؟ أنا أي؛
بكي زين.

ثم نظر لي وأكمل :مش كنت حتة منه بردو، هي استقلتني وحسيت وجودها جمبي كتير علي، كبرت لوحدي بس عمري ما حسيت بحرية، كانت روحي متعلقة باللحظة دي، واليوم ده كان قدامي دايماً وهي بتقولي أكبر وأنجح؛ كان نفسي انتقم وأعاند ومكبرش ولا أنجح بس لقيتني كبرت، كبرت في اللحظة دي كل السنين اللي كانت ممكن تكبرني. .

رفع حاجبه وهو يمسح دموعه: كان لازم أنجح؛

نظر لي وقال :أمي اقسى أم ممكن تشوفيها في الدنيا، حتى حضنها كنت بحس بيه أني تايه جواه، أن نصي جواه ونصي في الدنيا المخيفة دي، كنت بحس أني في زحمة وأنا فيها رغم أني ببقى عاوز أهرب بيه من الدنيا؛

ابتسم وهو ينظر للفراغ :القسوة والحنية بتتحس، في ناس بمجرد ما تبصي في عنيهم بتحسي بحنية وهدوء رغم دوشة روحك، وناس ثانية مليانة دوشة وزحمة وقلق وعندها القدرة تصوت فيكي بعيونها، أمي كانت كل ما تبصلي بحسها بتنتقم مني بحنان غبي، نفسي اقبلها وأقولها ليه!!
مسحت دموعي وأمسك زين يدي وصمتنا، صمت ساد روحنا،

كنت ابكي وكانت روحه تبكي معي؛
أنا لا أتعجب صمود أشكالنا، لا تبهرني المشاهد التي تظهر بعد تفكير، أري أن السقوط أفضل الأمور التي تنقل المشاعر، لكني الآن أتسأل عن تلك الأم التي تترك العالم هكذا دون شفقةٍ، هناك دوماً أمرٌ يجعلنا نتمسك بتلك الحياة مع اليأس والحزن وعدم الرغبة، هناك سببٌ يجعلنا نكمل سيرنا، ولكن ما تلك القوة التي تجعلنا نغادرها دون أي تفكير، بداخل كل أمرٍ هناك قوة وضعف، والانتحار كذلك قوة من ناحية، وضعف من نواحي آخري، ولكن مع تلك الأم لا أجد تفسير سوي أنه قسوة وجبن؛
ما الذي يجعلني أن أهرب لعالمٍ آخر، واترك يد صغيرة تطلب النجاة، يدٌ كبرت بداخلي، يدٌ لابدً أن انهي كل تفاصيلها بيدي، يدٌ لابد أن أضمها لآخر نفسٍ لي قدره الله، ليس نفسٌ أقدره أنا؛
زين مع كل لحظة قال بها أًمي كان صوته يكسوه الرجاء، لا اعلم ما يفعله الحزن بروحنا ولا استوعب ما يغادر بداخلنا، ونطوق شوقاً لعودته، رغم أن وجوده كان سيجعلنا نموتُ لا مفر؛
وكأن الرحيل يسحب من قلبنا التمسك المميت؛ وكأي روحٍ ترغب بالكمال، نبكي بحرقةٍ علي ما مات داخلنا، كنت أريد أن أمسك يد زين لآخر عمري، كنت أودُ أن أضمه لعله يجد العالم الهادئ الذي بحث عليه في أحضان أمه؛
نظر لي ثم قال بحنانٍ مفرط :سنيوريتا متعيطيش؛

ابتسمت وأنا أضع رأسي علي كتفه؛
قال بهمس: محدش يعرف حكايتي غيرك؛
نظرت له بتعجب: ونسيم؟
رفع حاجبه ثم قال باستنكار: نسيم! مينفعش نسيم؛ شبه ماما أوي، جريئة وقوية وبتحب نفسها وحريتها، وأنا متأكد أن نسيم لو كانت مكان ماما كانت هتهرب. .
سألته باستغراب :ليه أنت جوا علاقة خايف فيها؛
قال بهدوء: الخوف أهون من الضياع، مش عاوز أضيع تاني؛
بعدين حد يلاقي روح شبه روح أمه ويسبها !
رفعت عيني له برجاء وبدأت ابكي وأنا أتذكر سهيل؛
ما ذلك العالم الذي يجعلنا نقبل الخوف لمجرد خوفنا من الضياع؟ ولكني بحاجة لنقط لتلك الحكاية التي لايستوعبها عقلي ولا تتحملها دقات قلبي، عندما نكبر تتمدد طواغينا . . . . . . !!!

***

كنت اجلس في المطعم انظر لزين وصورة أمي، نظر لي زين ثم ترك ما بيده وجلس أمامي وقال: يا سنيوريتا مش عاوزك تبصلي كدا تاني.
ضحك ثم قال :بتكسف.
ضحكت لا أدري ما كتبت له عيني؛
جلست نسيم وقالت بمرح: أنا رايحة لندن بكرة؛

نظر لها زين بدهشة؛
نظرت لزين ثم لنسيم وقلت بتعجب :ليه؟
قالت بسعادة :رايحة مع خالتو.
زين بلا مبالاة :اوك.
نظرت لزين الذي قام وعاد لعمله؛
نسيم باستغراب: مال زين.
نظرت لها وقلت :هتعملي إيه في لندن؟
قالت :عاوزة أغير جو شوية، بعدين خطوبتي قربت عاوزة اشتري حاجات؛
ثم صمتت قليلاً وبعدها قالت: وابعد شوية؛
قلت وأنا ابتسم بهدوء: انبسطي طيب وهاتيلي حاجه من هناك.

قالت بمرح : i love you
ضحكت وقلت : me too ياروحي بس روحي قولي لزين كدا؛
نظرت نسيم لزين ثم ابتسمت وقامت له؛
للمرة الأولي أشعر أن زين لا تستحقه نسيم. . . . . . !

***

كان زين يبعثر بجدراني، دخلت للغرفة وأُغلِقَ الباب، كان سهيل في نهاية كل درب في تلك الغرفة، كان يحيطِ كل دقاتي، ذهبت لزين بهدوء وأنا انظر لآثار قدمي، كنت أخطو مع آثر قدمي

التي يكسوها الدماء، وضعت يدي علي كتفه ولمست قلبي الذي يدق بألم، شاور لي بيده لأبعد مكان بالغرفة، كانت أمه تمسك يد نسيم وتغادر بها بعيداً، نظرت أمه لزين وابتسمت باستفزاز؛
نظرت لعين زين كانت حمراء ينظر بها بألم،
أمي. . . . . أمي كانت تبتسم لي بحنان من أحد نواحي الغرفة تدهن الحوائط ببعثرةٍ سخيفة؛
هي تعلم أني أكره الألوان المبعثرة، نظرت حولي وأنا أدور بعدم فهم كان حولي هادئ ولكنه شديد التبعثر، يسمح بدقات قلبي أن تصل لأعمق مكان في أذني؛

فتحت عيني ثم نظرت للساعة بجواري، جلست وأنا أمدد قدمي ولم أقم من فراشي؛
أشعر بأن كل ما حولي غير منظمٌ مبهمٌ وغريبٌ؛
نظرت للغرفة كانت نظيفة، ولكني أشعر بتبعثر روحي فيها، أظن أن اليوم لأجلي، أود أن أبقي هكذا، لا أود أن أري شوارع أكثر تبعثر مني، أود أن أشعر بأني أكثر شئ مبعثرٌ في العالم.
اليوم فقط، فقط ليومٍ واحد، أود الهدوء مع ضجيجي. . . . . . .

***

اتصلَ زين كثيراً، وهناك رقمٌ غريبٌ أزعجني، ولكني لا أعطي الأرقام الغريبةَ أيُ اهتمام حتى لو كان سهيلاً!!!!!!!!
قمت من علي الفراش، كانت آثار الماسكرا علي عيني قررت أن استحم، أخرجت بنطالوني الأسود، وبلوزتي ذات اللون الزيتي العادية كانت قصيرة تزينها بعض الأزرار، أنا أصمم ولكن ملابسي أقلُ من العادية، أحبُ أن ارتدي ما يريحني، أكثر من أن ارتدي ما يبهرني، خلعت ملابسي واستحممت، كان اليوم هادئاً، رياحه خفيفة، اتصلت بزين أطمئن علي سفر نسيم، وقرر أن اليوم ملكه، وأنه يريد أن يبهرني، أخاف من طريقة ابهار زين، ضحكت وأنا انظر للمرآة، كان شعري متمردٌ إلى أقصى الحدود، ولكني تركته، ارتديت نظارتي وجاكتي الجلد، وخرجت للبلكونة، أنا لا أحب الشوارع كثيراً، ولكني أشعر أنه قد فاتني الكثير بنومي يومٌ كامل؛ ولكن النوم مفيدٌ، هروبٌ بلا أي تكاليفٍ لذيذة، ذلك الهروب. .

***

أنا في أسكندرية مع زين-!!!
ما لا استحينه أن تذكرني مدينة بكامل من سيفارقون وريدي يوماً، لكن الأمر مفيد أن تتنفس في مدينة كنت تظن أن النفس

لا يصدر إلا معهم، أكثر ما لا أحب أن أشعره، هو شعور الوحشة، ذلك الضجيج الحلو الذي يصمت دون مبرر، ويهديك صفير أذنك لآخر العمر، اعتدت أن أرد علي -وحشتيني- ببعد الشر؛
أجده رداً مثالياً، بل إنه الأنسب، ابعد الله عنا الوحشة والألأم؛

نظر لي زين: أسكندرية بتشفي أي وجع.
كان لي رأيٌ آخر، ولكني ابتسمت.
نظرت له ثم قلت بتعجب :صحيح أول ما بتيجي سيرة بحر بتفتكر أسكندرية !
قال بتلقائية: بفتكرك.
ضحكت ثم قلت: متحكيلي حاجة حلوة.
قال وهو يجلس أمام البحر :مممممم؛
ثم مد يده لي لأجلس بجواره؛
قال بمرح :زمان كان عندي عجلة، بس أنا ياستي مش بعرف اركب عجل، قررت في اليوم ده أني هجرب وأروح بيها الشغل، واتحديت العالم اليوم ده مبقاش عندي عجلة، انكسرت دي كلمة قليلة عليها، الفكرة أني أنا كمان أتكسرت؛
نظر لي ثم قال :عارفة اليوم ده، أتعلمت إيه؟
نظرت له باهتمام؛
قال وهو ينظر لي بحنان :أن التحدي عنوانه حد ماسك أيديك،

أن مينفعش اتحدي العالم وأنا لوحدي، يومها قررت أمسك أيدي كل ما أقرر اتحدي .
نظرت له بفخر ثم أمسكت يده وقلت :بتتحدي العالم بإيه ؟
قال وهو يبتسم للبحر: أني مش هندم أبداً. .
ثم نظر لي وابتسم وقال متسائلاً: وأنتِ.
قلت بعد تفكير :عمري ما هبقى شبه اسمي.
رفع حاجبه ثم قال :بتحبي السمك؟
قلت وأنا اضحك :مبعرفش أكله.
شد يدي وقال بمرح :هأكلك أنا.
بعض الأشخاص لا يمكن تسمية المشاعر التي تصدر لهم، وانأ لا أدري ما يمكن أن تكون الخيانة؛
ولكن قلب زين ينبض لنسيم ليس لي، وأنا مازلت أفكر في سهيل ماذا نفعل، لا اعلم؟
ولكني اعلم من صميم قلبي أن زين بإمكانه أن يجعل قلبي سعيداً، ولكن سهيل لا يُنسى؛
وكأنه أولئك الذين يدخلوك دون موعد ولا وداع ولا سابق إنذار لا يغادرون، لا أفهم تركيبةُ البشر؛ هل حقاً نفقد أجزائنا مع من أحببناهم؟، هل حقاً تموت روحنا يوماً ونعيش بجسد ينقل الرسائل للقلب حتى يدق؟ . . . . يدق فحسب، أنا لا أدري وارغب في الحفاظ علي؛

لا أريد أن افقدني أكثر ما بحاجة له حقاً
أن لا أفقد. . . . . ني

***

كان زين يفصص لي السمك ويحكي لي قصص أميرات لم تُكتب في الكتب، كنت سعيدة وكنت أشعر بالحرية، لا أدري ما الذي كان يجعل نسيم تشعر بالقيد؛
كانت أمي تقول لي دوماً أن أكثر وقت ستشعرين به بالحرية وقت طفولتك، الأمر الذي سيجعلك تشعري بالقيد طوال عمرك، أن الإنسان لا يتذكر طفولته؛

مبهمةٌ تلك الحياة، تهدينا كل شئ ولكنها تتقن أن تجعلنا لا نشعر بها، ترسلها لنا في الوقت الخاطئ، نظرت لزين أحياناً تشعر بابتسامتك، تشعر أنك في عمرٍ تخجل من أن تصل له بعد كل تلك السنين، ولكني كنت أشعر بالسعادة، سعادةٌ واضحةٌ ليس كتلك التي ترسلني للنجوم؛
ليس كتلك التي يصنعها سهيل، يرسلني لعوالم غريبة فانسي سعادتي باكتشافها؛
كنت دوماً بحاجةٍ للبساطة، لتلك الأيدي الدافئة التي تعلم من داخلك أنها تدفئ روحك؛
أحب الوضوح بقدر حبي الغموض الذي يسكنه، كنت بحاجة

كبيرة أن أتوقف علي النظر للبحر وأتذكره، كنت بحاجة أن أتوقف للنظر للسماء، ربما كنت بحاجة له دون أن أنظر أو بحاجة لمحو كل ما رسمت، بحاجة لأن اكتفي بملامحه الساكنة. . . . . .

أوقفني عن التمني زين وهو يطعمني، كنت اضحك من كل قلبي وأن كنت أريد أن أصفني بصدق في تلك الصفحات، أنا لا أحب السمك؛

أنا أحب الأغاني كثيراً وأحب كل من يشاركني في سماع ولو لحنٍ بسيطٍ وضع زين أحد سماعاته في أذني وفتح أغانيه، يقال أن الإنسان يُعرف من الموسيقي التي تجذبه، أليس يعقل؛
أن الأذن والعين والقلب معاً، ما يجذب أذنك لابد أن قلبك دق له، لذلك أنا أقدس كل ما أراه ويرفع ضغط دمي، وأعيد كل ما اسمع ويضخ الدم لجسدي بسرعة أكبر؛
ضحكت وانأ أردد مع زين :ممكن تشوف الليل ظلمة وغيوم، وممكن تشوف نفس الليل قمر وسكوت ونجوم، ممكن تحزن معاه وتفكر في أمبارح، وممكن تفكر في بكرة وتفضل فيه سارح.
أنا أعشق كاريوكي، ضحكت وأنا أُغني، كان زين ينظر لي كما كان ينظر لنسيم، شعرت حينها برغبة الهروب، كنت أود أن اركض، أنا فعلت هذا، رميت السماعة من أذني، ركضت للبحر وأنا اضحك،

نظرت له كان يتأملني بجمال ضحكت، يا إلهي ماذا أفعل؛
أنا أخاف بحر أسكندرية خاصة ذلك البحر، أعلم أن البحر غادر، ولكن أماكن وجود البحار تحدد مدى غدره تماماً كالقلوب ومن تسكن؛
أسكندرية تبهرك ثم تزعجك بضجيجها حتى بغضب بحرها، تماماً كسهيل؛
أليس يتذكر تلك الأرض كلما ذكر البحر، غادر وقح؛
نظرت لزين وأنا استمتع بالبحر علي ضوء القمر، ابتسمت حينما تذكرت الجن الذي يشد قدمي،
مددت يدي لزين حقاً شعرت بالخوف.
ولكنه أومَ بالرفض وضحك وهو ينظر لي، وإن كان يخاف البحر بالتأكيد ليس بجنوني، أخافه واهرب إليه تماما مثله؛
ابتسمت، البحر هو أكثر مكان يشعرني بالسكوت والضوضاء. . بالدفئ والبرد، بالخوف والأمان؛
لا يجعلك تعلم ماذا يهديك ولا من أين سيهديك؛ لا تدرك بدايته ولا تصل لنهايته؛
تظن أنك لن تنجو ليصدمك بوصولك للبر، ثم تظن أنك نجوت فيغرقك؛
خرجت من الماء ثم جلست بجوار زين وأنا حزينةٌ، أتذكر ذلك السُهيل، ابتسم وهو ينظر لي، رفع حاجبه وغمز لي بجاذبية

فضحكت، خلع جاكته ووضعه علي؛
قلت ببراءة :حبيت كام مرة؟
قال بتلقائية :ماما خليتني أخاف أحب.
نظرت له بتعجب :ونسيم؟
رفع عينيه بصدمة، شعرت أن سؤالي دهشة، ربما ذكره أنه كان يجب أن لا يحب؛
نظر للبحر وسكت، لم يعطيني جواباً وأنا لا أحب أن أسمع ما لا يود أن يُقال، قررت أن أتابع البحر،
نمت علي الرمال وضحكت، نظر لي زين ونام بجواري؛
لا أعلم أن كنت انتقم من سهيل أم أنني انتقم مني بكل وضوح ولكني أحببت ذلك الانتقام وإن كان هذا هو الانتقام فإنه أداتي بعد الآن . . .

***

فتحت خزانة أمي، ابتسمت بمرحٍ حينما وجدت ملابس البالية خاصتي، ارتديتها بحماس ثم خرجت للصالون وبدأت ارقص بكل ما تعلمت، رقصت كثيراً بكثر عدد السنين التي هجرت فيها الرقص، جلست علي الأرض وأنا اتنفسُ بعمق؛
سرحت مع الأغاني :بيخوفني البحر الهادي؛ وبحرك أنت هادي كثيررر. . . . .

نظرت لهاتفي كان الرقم الغريب الذي لم أعطيه اهتمام؛
رددت :الو. .
رد قائلاً: سنه لحد ما تكتشفي رقمي؛
أبعدت الهاتف عن أذني ونظرت له ثم قلت بتعجب : سهيل!
ضحك وقال: عاملة إيه.
قلت بدهشة: هو أنت رقمك، اقصد رقمي يعني !
قال مقاطعا كلامي :أنا لو عايز حاجة بجبها؛
قلت باستنكار :ممممممم. .
قال بهدوء: مش عاوزة تشوفيني؟
نظرت لقلبي بغضبٍ ثم وضعت يدي عليه، كان يدق بقوة؛
لم أرد؛ فضحك وقال: طب أنا تحت البيت.
ركضت للبلكونة، كان واقفاً ينظر لي، أمسكت شعري بصدمة.
قال وهو يغمز: البسي وسرحي شعرك وأنزلي يلا.
دخلت وأنا أحاول أستيعاب ما الذي يحدث. .
رميت الهاتف ثم ركضت حولي لا اعلم من أين أبدء، ركضت لغرفة أمي ارتديت skirt كاجول كانت طويلة مفتوحة من الجانب حتى ركبتي، ارتديت بلوزه بيضاء وجاكت جينز قصير كانت كلها ملابس أمي، رتبت شعري ووضعت ربطة شعر ثم ارتديت حقيبتي البيضاء الكروس ونزلت،
نظر لي سهيل بغرابة كان يعاتب كل ما علي بنظراته؛

فتح باب السيارة وابتسم بوسامة، أنا انسحب تلك سعادة جميلة أيضاً؛
تسرقك منك والقلب أحمق يعشق السارقين؛
ركبت وأنا انظر له يركب بجواري فتح أغاني جوليا بأعلي صوت. .
ثم قال بصوت خافت :وحشتيني.
كأنه قصد أن تكون بين كل تلك الأصوات لذا قررت أن لا اسمعها؛
نظرت للطريق بحب ثم ضحكت وأنا أخرج رأسي من الشباك واسمح للهواء أن يسرق ما بقي معي، ما سمح أن يتركه لي ذلك السُهيل؛
نظرت له وضحكت، ابتسم لي بحنان؛
اشعر أحيانا أنني ابنته؛
علي كل حال تلك العلاقة لا تحمل أسم، وإن كنت أبنته لن استغرب، غرباء الرجال، ولكن لا يمكن أن نستغربهم، لذا أنا ابنة وحبيبة وربما أخت في الرضاعة في تلك العلاقة. . . !

***

كان سهيل يلتقط لي الصور وأنا بين الدمى في محل لعب الأطفال، كنت اضحك بكل صدق.
وهو كان صادق شعرت بصدقه تلك الليلة، نظراته كانت صادقة كان سعيد كلما سمع ضحكاتي، أصدق المشاعر تلك التي تشعرها لشخص آخر التي تسمح لنا بأن نشارك ابتسامة أو بكاء، ربما

صراخٌ أو حتى لحنٌ مضى عليه السنين وألتهمه الغبار، هنا نصل للصدق، أنا حتى أري الكذب صدقاً أحياناً، نتقن الكذب لنصبح صادقين بكذبنا؛
لذا أنا لا أحب أن أثق بأحد، ولكني أشعر، اكتفي بالشعور؛
ونحن خُلقنا لنشعر، وأنا أشعر، ابتسم وابكي ولا أرغب وربما. . . ربما أحبه .

مسك يدي وسألني ونحن نسير في المول :عيونك شبه مين.
ضحكت وقلت :أنت واخد بالك من عيني ليه ؟
قال بتلقائية وهو ينظر لي: أومال المفروض أخد بالي من إيه.
رفعت عيني و حاجبي له ثم قلت بتلقائية: ماما بس هي عنيها كانت أحلى.
نظر لي وكأنه يوافق كلامي ضحكت فضحك.
نظرت له وقلت :مين سماك سُهيل.
قال وهو يضحك :مسألتش والله معرفش.
ضممت حاجبي له ثم قلت بمرح :تعرف أننا بنبقي شبه أسامينا.
نظر لي بعدم اقتناع؛
قلت مبررةً :مثلاً أنت بتختفي فجأة. .
ضحك ثم نظر لي وقال بهدوء: كل واحد منا ليه نصيب من أسمه.

نظر لي بعدها وقال: بس على كدا لازم أخاف منك.
نظرت بعيداً ثم قلت بمرح :عايزة غزل بنات.
ضحك ومسك يدي كأنني ابنته حقاً، واشتري لي غزل بنات.
أنا لا أسعد كثيراً وليس مع أي أحد، القليل فقط من يرو سعادتي، لذا أنا أحب اللحظات أكثر من الأشخاص، لأنها هي من تحفر داخلي العبارات؛ الأشخاص يؤلمون تلك الحفر لذا لا ادري أنا من أتذكر !!!

***

أكثر ما يُخيفني دوماً دقات الساعات مؤشر قادر علي تحويل الأيام والليالي لسنين، أنه يوم ميلادي أحب شهر ١٠ يعني لي الكثير والكثير، إنه الخامس والعشرون من ذلك الشهر، افتخر من ذلك اليوم، افتخر أنني أنتمي لذلك اليوم.
لا أحد يعلم متى وُلدت كنت دوماً أحتفل بذلك اليوم مع أمي ونسيم فقط، لذا أشعر بالوحدة ، أنه عامي التاسع والعشرون، نعم اعترف كبرت كثيراً، نظرت علي انعكاسي في المرآة، لم تظهر التاسعة والعشرون علي وجهي أبداً، ابتسمت حينما تذكرت أمي :عارفة ليه محدش عارف سني عشان محدش عارف عيد ميلادي، محدش بيحسب؛

من يومها قررت أن يكون رقم ميلادي من أحد أسراري، رأيت

رقم نسيم تتصل بي مكالمة فيديو ضحكت ثم: رديت:
نسيم بمرح : happy birthday to you
ضحكت ثم قلت :يا وحشة كدا سايباني لوحدي في يوم زي ده.
وجهت الكاميرا لكيكي المفضل :هكلها كلها عشان خاطرك؛
نظرت لها باستنكار ثم قلت بسعادة: بحبك.
قالت بمرح :أنا بموت بموت بموت فيكي.
تحدثنا قليلاً ثم أغلقت معها، جلست أمام مكتبي فتحت أحد الرفوف، وأخرجت منه box كنت اجمع به كل جراحي وسعادتي، أمري غريب، اجمع دوماً الجرح مع السعادة؛
ولكني أجدهم لا ينفصلان، يجتمعان معاً، يهربان معاً. . . . . .

فتحت أحد الأجوبة؛
- بنوتي الحلوة معقول كبرتي كدا عارفة بفرح أوي كل ما تكبري وتبقي شبهي أكثر، عاوزة أعلمك كل حاجة أتعلمتها ونفسي تكبري عشان تعلميني اللي تعلمتيه كمان، أوعي تفتكري أني عارفة العالم كله أو أني قبلت كل حاجة، جرحي صغير يا قلب ماما مهما كبر مضمنش هيبقي أكبر من جرحك ولا لا، عاوزاكي تجربي كل حاجة، الكره قبل الحب، الحزن قبل السعادة والوقوع قبل الوقوف، عشان تبقي أكثر حد عارف يعني أي حب، وأكتر حد عارف يحس السعادة بكل روحه، يعني أي شموخ وقوة، بحبك

وهحبك أكثر كل ما تكبري عشان أنتِ مرآيتي، المرآيا الوحيدة اللي مش بهرب منها -

ابتسمت وأنا امسح دموعي، خط أمي كان يشبهها جميل ومرتب، عميقٌ كعينيها لطالما كنت أحاول مسك قلمي بيدي اليمني لعلي أشبهها قليلاً، ابتسمت ليدي اليسري التي كانت تمسك قلم، كان بداخل ال box أتذكره جيداً، أهدته لي أمي في امتحانات الثانوية، كانت تخبرني أنه سيكتب بدلاً مني،
تلك أول زهور قلبي، الآن هي ذابلة كذبول تلك الليالي، يقال أنها كانت أيامٌ عزيزة،أعز من الدوام،
نظرت لهاتفي كان سهيل يتصل لم أسجل رقمه بعد ولكن عيني تذكرت رقمه جيداً رددت بسعادة: سُهيل!!

ضحك وقال اسمي بلحنٍ جميل؛ .
ثم قال متسائلاً :بتعملي إيه؟.
نظرت حولي ثم ركضت إلي السرير وقلت :نايمة.
لا ادري لماذا فعلت هذا، أنا لا أكذب ولكني لست صادقةً لتلك الدرجة؛
قلت بتلقائية: أنت بتعمل إيه.
قال: أنا في الشغل.

شغل أنا لم أسأله يوماً ماذا يعمل حقاً، ما سبب تجاهلي لذلك الأمر.
سألته بمرح :وشغلك ده فين ؟
قال بمرح متجاهلاً سؤالي: ما تعزميني.
ضممت حاجبي بتعجبٍ وقلت :النهاردة ٢٥ وأنا مش بنزل اليوم ده من البيت.
قال بدهاء: يا تري ليه ؟
قلت ببراءة :عادي يعني.
ضحك وقال :طيب حاولي تطبخي بقا عاوز أدوق أكلك.
قلت بعدم إدراك :ها !!
قال وهو يضحك :يلا علي المطبخ، وأغلق.
نظرت قليلاً حولي بعدم فهم، ثم ركضت للمطبخ وعودت للغرفة ركضاً لأخذ هاتفي؛
أنا أكره الطبخ، لكني أحب أن اطبخ لأحد، رغم أنني حقاً فاشلة في ذلك الأمر، نظرت بهاتفي؛
وصفاتٍ كثيرة، كل ما كان يزعجني هي تلك البهارات الغريبة، أنا لا أُميزها، لذلك بدأت بالبحث عن أفضل المطاعم التي تطهو طعام المنزل وطلبت الطعام؛
نظرت لملابسي وبدأت أجرب الكثير من الملابس، لا أودُ أن أبالغ، انتهيت بفستان أسود طويل يظهر ذراعي وظهري مفتوحٌ قليلاً

من الجانب،
وضعت ربطة شعر لونها زيتي، وربت علي عنقي عقدٌ أسود، أما قدمي أنا أحب السير حافيةً لذا تركتها، نظرت بالمرآة وكنت راضيةً ولكني ركضت ووضعت من عطر أمي، أنا أحب مرآة غرفة أمي، واشعر بأنها تجعلني أجمل، أنا لا أتوهم حتى نسيم تعترف بذلك؛
نظرت لهاتفي كان سهيل يتصل؛
تنفستُ بعمقٍ ثم رديت :ممممم.
قال بتساؤل: طبختي إيه؟. .
نظرت للطعام علي المائدة ثم قلت بتوتر: مفاجأة.
ضحك وقال: افتحي الباب طيب.
قلت بتوتر: باب؟ أه اوك.
وقفت أمام الباب قليلاً ثم فتحته نظر لي بجمال ثم أغمض عينيه قليلاً وفتحها بتوتر.
نظر للبيت حوله أمسك أحد الصور، كانت صورة أمي نظر لها ثم تركها؛
نظر لي ومد يده ب box أسود وقال بحنان: كل سنة وأنتِ طيبة.
فتحت عيني بصدمة وتركت يده ممدودة، ثم بدأت أدور في البيت لا أفهم كيف؛
ضحك قليلاً بصمتٍ ثم قال وهو ينظر للطعام وذاق منه؛

قال بتعجب وهو يضحك :ده حلو أوي.
كنت مخذولة قليلاً كيف لسري التافه أن يصل له من أين يعرفني ذلك ؟
جلست أمام الطعام وجلس أمامي، لم ارفع عيني له، أنا اعلم أن الأمر أكثر تفاهةً ولكني ظللت أعوام احتفل بمفردي بذلك اليوم، ولم احظ بتلك العبارات السخيفة ولا الهدايا التي لا تُستعمل ليأتي هو بعد التاسع والعشرون من عمري يسمعني تلك العبارات ويهديني هدية ربما تعجبني؛
مسكت المعلقة وبدأت ألعب بطبقي لا أشعر بالجوع أنه أسوء أعياد ميلادي، رفعت عيني له كان يتأملني، نفس العتاب، نفس اللؤم، نفس الخذلان، نفس الاشتياق. .
لماذا يعاتبني!!!
لا اعلم ما لؤمي وبماذا خذلته ولماذا يشتاق ؟
أنا أمامه متى يريد يسمع صوتي ويراني من هذا بحق السماء؟؟؟؟
نظرت له بتمرد ثم تركته ودخلت البلكونة تركني قليلاً ثم وقف بجواري؛
نظر لي وابتسم بحنان مسك يدي بهدوء فابتسمت أنا أحب الأرواح الحنونة، تأسرني وأظن أنني تغاضيت عن أمر سري.
جلست علي سور البلكونة، ظل ينظر لي.
قلت بتساؤل :أنت عايش بقالك أد إيه.

بدأ يحسب قليلاً ثم ضحك وهو ينظر لي: كتير.
رفعت حاجبي له باستنكار؛
ضحكت ونزلت كان قريب من قلبي كثيراً، وكان قلبي يدق بقوة، نظر بعيني بكل شموخٍ، شعرت أنه يملكني حقاً، شعرت أني لا أحق لغيره، رفعت أحد حاجبي بكبرياء فزادت نظراته رغبة. . .

***

كان الأتيلييه مزدحمٌ كثيراً،كنت أشعر أنني خفيفةٌ ذلك اليوم، كانت روحي تطير من سعادتها نظرت خلفي كان سهيل يهمس بأذني :فطارك علي المكتب لو سمحتي كلي؛
نظرت له وابتسمت ثم قلت :جبتلي فطار إيه.
قال وهو يداعب أنفي: بيتزا.
قلت بمرح: واو.
قال بحزن :لازم امشي ورايا شغل كثير.
نظرت له بحب وقلت: خلي بالك علي نفسك.
قبل أن يغادر ناديت عليه ثم قلت بتلقائية: شكراً.
ابتسم لي بحنان وغادر.
أنا لا أحب الاهتمام، أحب الأشخاص كثيراً حتى أولئك الذين أهملوا روحي أحببتهم بصدق لأن قلبي كتب عليهم الحب، ليس لأنهم قرروا أن أحبهم، كنت دوماً أشعر بالأسف لأولئك الذين أحبوني ولن تقبل لي الأيام أن أحبهم حتى مع فيض مشاعرهم، حقاً

وددت أن اهديهم أجزاءُ روحي، كانوا هم أكثر من استحقوها، لم يكونوا بقاتلين حتي يقتلوها، أو لا اعلم، أنا لا أحسن الأختيار دوماً . . . . .

***

نظرت حولي كان كل شئ يشعرني بالغضب لا أدري كيف مر الشهر وغاب سُهيل، كل ذلك الشهر لم يغريني بفطور، ولم يجعلني اسمع صوته، اختفي ككل مرة؛

كان ينبغي علي أن أمثل السعادة؛
أنه يومُ نسيم، أغلقت لها الفستان ثم قلت بحنان: أنتِ تجنني بجد !
ركضت لخارج الغرفة :هنادي زين؛
أومَت بسعادة؛
بحثت عن زين كثيراً، ولكني وجدته كان جالساً أمام البحر، اختار أسكندرية لتشهد علي حبه، ولكني لا ادري أي حب !!!!
جلست بجواره وابتسمت؛
ابتسم لي بهدوء ثم قال :شكلك حلو أوي؛
ابتسمت له بسعادة، نظر لي وأمسك يدي بشوق، ضممت حاجبي؛
قال وهو يحاول أن يثبت عينيه علي :أنا عارف أنه مينفعش،

مينفعش دلوقتي خالص، مينفعش أقول الكلام ده؛
سكتُ قليلاً نظرت له بقلق ثم ضغطت علي يده بهدوء؛
أكمل وهو ينظر لعيني برجاء :أنا بحبك.
نظرتُ بعدم فهم كنت أشعر أن العالم توقف
بدأت الأمواج تحاربنا، ازدادت بغرابة، كدتُ أخاف أن تغرقنا، بدأتُ ابكي وأنا انظر له برجاء أكبر؛
قال وهو يمسح دموعه: اعمل إيه طيب، أنا حبيت نسيم والله عمري ما كذبت بولا كلمة أتقالت ليها، وكنت بحاول أحس معها بعدم خوف بس معرفتش لقيتني بحبك أوي؛
وعاوزك أوي، بفكر فيكي دايماً وعاوز أشوفك حوليا؛ والله مش ذنبي ومش عارف اعمل إيه. .

بكيت كثيراً وضعت رأسي علي حجره وبكيت، لا أعلم ما شعوري ولكني لست غاضبةٌ منه، أودُ احتضانه بشدة، وأود أن اهديني له، ولكني لا أعلم، كنت أود كثيراً أن اشتكي له من سهيل وأن ننتقم كلانا من ذلك الجرح بداخلنا، ولكن كيف؟ ونسيم؛
أصبحتُ خائنة؛
بحق كل ما خلق الله لا أشعر بشئ، كان زين ينظر للبحر ويداعب شعري الذي يملئُ حجره، كان هادي بغرابة، ربما يتذكر عدد خيباته، ربما كان يتذكر تلك القاسية التي عذبته أعوامَ عمره

الباقية، أهدته العذاب ولم تعلمه الانتحار؛
ربما أكبر انتحار نقدمه لأنفسنا هو أننا نسمح لها بالحياة. .

أمسكت يده ثم بدأت امسح دموع عينه بهدوء، ابتسمت له والدموع تملئُ وجهي وتكسو عيني،
اعلم أن كل مشاعري كانت تصل لروحه، أعلم جيداً. .
بدأت أُرتب ملابسه وأنا ابكي، قمت وأنا انظر للبحر بفتور، ثم مسحت دموعي، مددت له يدي وقلت بحنان :يلا بينا؛
ذهبنا كلانا لنسيم لحسن الحظ أعمتها السعادة علي خيانتنا؛
نظرت لزين وابتسمت وهي تنظر لفستانها، ابتسم زين لها وامسك يديها بحنان ثم قال بهدوء: إيه القمر ده.
تسائلت بقلق :بجد !
ضمها لصدره كان يتأسف لها وهو يضمها، شعرت بكل ما يريد قوله، نظرت لهم وغادرت الغرفة؛
بكيت كثيراً لا أعلمُ أنا، لا أجد عبارات تصف ألم روحي، كان الغضب يملئُ كل سلام طرقاتي، كنت بحاجة لأن أتوه بعيداً، أريد عالم جديد، لا أحد يعلم من أنا، لا أحد يعلم أنني أتألم حتى، نظرتُ للبحر برجاء، كنت بحاجة لأن يطفئ نيراني، كنت بحاجة لأن يغرقني بعيداً، يجرفني للبعيد، نظرت للسماء وأنا أهديها دموعي بكل صدق، أنني بحاجة للنجاة؛

أبعدت شعري، جلست أمام البحر وتركت الهواء يزيد من تمرد شعري، أنا كل حواسي متمردة، لذا أنا بحاجة أن تتمرد كل خصلة من خصلات شعري، أود أن تصرخ علي كل حواسي، أود أن يصرخ في وجهي العالم بأكمله وأن أهديه صدي ينهي وجوده، مسحت دموعي بغضب، أنا لست بحاجة لأن أراني اعلم أن كل مكياجي تمرد ككل حواسي، دخلت الحمام ضبطت وجهي قليلاً ولكن روحي لم استطع أن أمسك بها .

***

أنا سيئةٌ في أخفاءِ مشاعري، ساعدتُ نسيم في جلوسها، كان الفستان يضايقها كما يضايقني قلبي، ربما لأنني لمست كل نواحي ذلك الفستان؛

أشعرت روحها بريح الخيانة؛

همست في أذني: مالك.

نظرت لها وابتسمت ثم قلت ببراءة :فرحانة أوي مش مصدقة انك بقيتي عروسة؛

ابتسمت لي؛

أمسكت ذيل فستاني وابتعدت كنت أتجنب النظر لزين، لأني أعرفني جيداً، كنت سابكي كثيراً، ربما أشعر بكثير من الألأم، ولكني أشعر أنني خائنةً بحق نسيم وبحق ذلك الذي لا أعلم أين هو ؟ وماذا يفعل وماذا يريد من روحي؛

كانت أمي دوماً تؤكد لي أن الرجال عذرها الوحيد أنها لم تنطق بعبارة الحب، كانت توصيني أن لا أتأمل من رجل لم يعترف لي بحبه، بكل وضوح اعتقد أنني بريئةٌ من خيانتي له ولكن نسيم؛ كانت الأغاني حولي تغزو روحي، كنت أود الصراخ بكل ما بداخلي من ألم، كنت أود أن أجعل كل شئ صامت، أن يتوقف الزمانُ لثوانٍ لأستوعب ما أنا فيه؛

جلست بجوارهم قليلاً كنت أشعر بنظرات زين، كان يرجو روحي التي لا أعلم إلى أين؛

أين هربت وتركتني هنا؛

ابتسمت لنسيم كنت أشعر بسعادتها وكنت احمد الله أنها لا ترى؛

نظرت حولي وقررت الصمت حتى عن الرؤية؛

رقصت وضحكت وبكيت ولكني لم أصدق تلك اللحظة التي لمست فيها قدمي منزلي؛

صرخت أول دخولي وبكيت كثيراً، جلست علي الأرض وضممت ركبتي وبكيت . . . . . .

***

كنت أقف في تلك الغرفة، كانت مظلمةً بشكلٍ مزعج، كانت نسيم تضئ من بعيد، تنظر لي بكل عتابٍ تملئه الأرض للعالم، أما زين كان يلمم بعثرة الغرفة يرتبها بشكلٍ هادي.

نسيم تنظر فحسب أبعدت عينيها عني ونظرت لزين نظرات بلا عبارات؛
نظرت للون الأزرق الذي يتوسط الغرفة كان كما هو وربما أجمل. . . . .
بدأت تخطو لمكان عيني، لمكان عمارها وملئت روحي بعتابها . . . . . .

استيقظت ثم نظرت حولي كنت علي الأرض بملابسي لم أغيرها !! شعرت بثقلٍ غريبٍ برأسي، لم استطع الوقوف، عودت كما كنت وبكيت كثيراً، وضعت يدي علي رأسي كنت ساخنة بكيت أكثر؛ قمت بصعوبة ثم غيرت ملابسي بصعوبة أكبر، نمت علي سرير أمي وأنا ابكي وأضم قدمي؛
قلت بألمٍ :ماما.
ثم بقيتُ هكذا، وأنت مريضٌ تطول الدقائق، كنت أود أن أشعر باليد التي تمسك يدي، كنت أميز رائحة أمي جيداً ولكن أمي ليست هنا؛

***

سمعت دق الباب، لا استطيع أن أقوم ولا اعلم منذ متى وأنا نائمةٌ هكذا، تجاهلته ولكنه كان مزعج لا يمكن تجاهله، قمتُ بثقل، كنت اسمع جيداً الهواء الذي يخرج من فمي بصعوبة،

ليتني أتوقف عن التنفس !
بدأت أخطو وأنا ألمس حوائط البيت لأول مرة أشعر أن الباب يبعد عن غرفة أمي كل هذا البعد
لأول مرة أشعر بعجز كهذا، وصلت للباب وفتحته ثم وقعت ولا أدري ما الذي حدث بعدها، ولكنها رائحة سهيل، وكأننا نعود أطفالٌ حينما نمرض، أو تلفتنا التفاصيل أكثر، نشم الروائح بشكل أفضل، نشعر بقيمة اللمسات أكثر، نتمسك أفضل، حتى نشعر بعبارات الدعاء بشكل مفصل؛
حملني واتجه لغرفتي؛
لا أدري؛ هو يختفي ولكنه كالنجوم يعلم متى يضئُ؛
كيف يمكن أن تعاتب إنساناً كهذا؛
بأي لونٍ من ألوان العتاب، وبأي لغةٍ وأيُ لهجةٍ،
شعرت بيده تضع علي رأسي، شئٌ باردٌ؛
ابتسمتُ بهدوء؛
همس لي :الدنيا مش بتستنى كتير، قومي يلا.
أنها جملة أمي الآن، أشعر بقليلٍ من الأمان، سهيل كان معي، كنت أشعر به لم يفارق يدي وكان يتكلم في الليل كثيراً، أسمعه جيداً لا أميز الحروف ولكني أحب حديثه، كان يضحك كثيراً ويُداعبُ شعري وأنفي؛
أتذكر شوربته، كانت سيئةً ولكنه كان يصممُ أن اشربها، أنا لا أعدُ

الأيام ولكني أشعر أنني نائمة سنوات؛
سألته بتعب :سهيل.
داعب شعري ثم قال بحنان :إيه يا عمري.
قلت بتساؤل :بقالي كدا كثير.
ضحك وقال :أه يلا قومي بقى، قصصي خلصت خلاص.
رفعتُ نفسى قليلاً وضع خلفي وسادة؛
نظرتُ له وأنا أسند رأسي، مسك يدي بحنان،
بدأت ابكي بهدوء؛
جلس بجواري وبدأ يلمس شعري بحنان؛
قلت وأنا ابكي :احكيلي عنك بليز؟
قال وهو يضحك :المفروض منقولش لا وأنتِ تعبانة كدا .
أومأت مؤكدةً كلامه.
أمسك طبق الشوربة؛
ثم قال :المفروض التعبانين ميقولوش لا بردو؛
خبئت وجهي منه؛
قال وهو يضحك :بلاش دلع بقى، بقى عشان في دواء.
قلت بتلقائية :مش بأخد أدوية.
ضحك بسخرية :مممممم ده كان زمان.
أنا مؤكدة أنه أسوء شخص صنع شوربة في العالم، ولكنه برر الأمر بأن الشوربة لا تُصف بأنها لذيذة، بالأساس أريدُ البكاء؛

أتمني أن لا ازداد سوءاً بعد تلك الشوربة؛
أخذت الدواء ونمتُ بعمق، أنا نومي العميق لا يأخذني من العالم،
أشعرُ بكل حرفٍ يُقال؛
كان سُهيل يُداعبُ شعري بهدوءٍ حينها همس لي: بحبك!!

كانت أجمل -بحبك- سمعتها أُذني، ولكن بالنسبة لي هذا ليس اعتراف، أين وضوحه؟
أنا نائمةٌ وبعمق؛
يستفز روحي. . يقول العبارات في الأوقات التي لا تسمح لي روحي بالرد عليها. . يقصد أن يري سكوتي. . لا يعلم أنني أشعر بتلك العبارات. . يزيدُ الأدرينالين في كامل جسدي. . يجعل من التنفس لحنٌ آخر. . فتزيدُ رغبتي بالحياة. . تجعلني أتمسكُ بكل ما هو خراب. . تجعلني أري الحرب سلام. . التحرر. . والنجومُ مصابيحُ طُرقنا. . والنار وسيلةٌ لتدفئتنا. . حتى النغمات الحزينة أراها حزنٌ سعيد؛
مرَ الكثيرُ علي تلك الحالة، سهيل لم يفارقني، وأنا لم أشفى؛
الروح تمرضُ قبل الجسد، وروحي لا تقبلُ الشفاء، ولكني أحببت ذلك المرضُ بعض الشئ؛

شعرت بي أقف علي نفس أعتاب الباب نفسه، نظرت لنسيم التي

تتحرك بهدوء داخل الغرفة،
دخلتُ ونظرت حولي، نظرت لنسيم بصدمةٍ تقفُ علي كرسي، وتثبت حبل في سقف تلك الغرفة؛ المؤلمة نظرت لي وهي تلف الحبل علي رقبتها. . . . . .

قمت وأنا أتنفس بصعوبةٍ، ضمني سهيل وهو يحاول أن يهدئني؛
أبعدته وأنا أقول بخوفٍ، جملٌ لا تُفهم؛
ركضت خارج البيت، أنا لا اعلم ما الذي دفع قدمي لفعل ذلك، ولكني ذهبت لبيت نسيم؛
كان سهيل ورائي يراقب رد فعلي بصدمة؛
بقيت واقفةٌ أدق الباب وأنا أجمع كل بكائي لأعوام، ليليق علي تلك اللحظة، كنت أنادي عليها وأنا أدق بخوف؛
توقفت عن دق الباب، ونظرت لسهيل، وأنا أمسك ذراعه وتكسو عيني دموع الرجاء :أكسره؛
نظر لي بتعجب وهو يحاول تهدئتي، بدأت ابتعد عنه رافضةً كل محاولاته، كنت أدق بأكبرعنفٍ يمتلكه جسدي المتعب، كنت أشعر بحرارة جسدي، جلست بجوار الباب؛
ونظرت لسهيل مُترجيةً؛
استجاب سهيل لرغبتي وبدأ محاولاً كسره بكامل قوته، أعلم أن الأمر لم يكن سهلاً، ولكنه فعلها،

قمت مُسرعةً لغرفتها، ثم وقفتُ مصدومةً أمامها،
أمسكني سهيل وهو لا يصدق ما يري؛
أمسكني قبل أن أفقد وعيي تماماً،

***

مازلت نسيم تنظر لي بعتابٍ مؤلم، ولكنها تبعد عينها، تُدمر بيديها كل ما زينته داخلي، حتى ما أزال بعثرته زين أرجعته علي الأرض شوكاً، بدأت تضع يدها علي الحوائط وتملئها دماء،
لم يكن زين حولي ولا سهيل ولا أمي؛
كان انتقام صامتٌ منها لي وحدي؛

استيقظت وأنا أنظر حولي، أنا بغرفتي؛
سُهيلُ يمسكُ يدي بقوةٍ وأنا ابكي؛
نظرت له، ثم بدأ يمسح دموعي ويضمني له، كانت صدمته تصلُ لي؛
قلت بألم: بسببي!
نظر لي بحنان ثم لمس شعري بهدوء: أهدي عشان خاطري.
قمت وأنا اركض :عاوزة أشوفها.
مسكني من خصري ثم جلس بي علي الأرض؛
قال بهدوء: أنتِ بتولعي عشان خاطري أهدي؛
بدأت ابحثُ عن هاتفي، اتصلت بزين وأنا ابكي؛

زين بقلق :أنا جاي.
كنت أشعر أني بكابوسٍ مزعج يجمع كل من في حياتي بمكانٍ واحد، لم أكن بخير؛
كانت رأسي تؤلمني، وكنت أشعر أنني اشتعل، وضعت رأسي بين قدمي وبكيت . . . بكيتُ كثيراً،
كنتُ بحاجةٍ لصمتٍ فحسب، أنها نسيم تغادرني!!
أنا بحاجةٍ لأن يخرس العالم حداداً لألمي هذا،
نسيم والانتحار، هي تلك الحرية!!
أنا أودُ تلخيصاً لكل ما علمتني إياه، لم افهم درسي، لم أفهمه !
أنا لا أريد أن تغادر نسيم، أودُ أن تأخذني معها،
رفعت رأسي عندما سمعت صوت زين، ثم ركضت له، نظرت له بألمٍ،
قالٍ بخوف: مالك، وباب نسيم مفتوحُ ليه؟
قلت بألمٍ وأنا ابكي: نسيم. . . . .
أمسكتُ يده وذهبت معه لنسيم، كان سُهيل ينظر لنا فقط؛
وقف زين أمام نسيم بصدمةٍ، نظر لي ثم نظر لها بعدم إدراك؛
نظر لها وهي مرفوعةٌ في الهواء؛
ضحك بسخرية: رحيل !!!!
نظرت له وبدأت ابكي، سقط علي الأرض وبكي كطفل حُرم من أمه، الآن أدركت ماذا فعل عندما تركته أمه؛

نظرت لنسيم، كنت أريد أن تنام علي الفراش، ساعدني سهيل، رأيتُ يده التي ترتعش بقوة،
كنت أري زُرقة عينيها بوضوحٍ الآن، كانت تقول بهم أنها تكره ذلك العالم؛
كتبتها بعينيها قبل انتحارها؛
نسيم ليست بحاجةٍ لورقةٍ تكتبُ بها عباراتٍ قبل الانتحار؛
هي تذهب بلا أي عباراتٍ، بلا أيُ شئ، تسحب رحالها وتغادر؛
ولكن ماذا عني الآن، ذهبت سيولي، والآن تذهب نسيمي؛
أصبحتُ مدينةٌ بلا مناخ، نظرتُ لها برجاء، وبكيتُ وأنا أمسك يديها بقوة؛

***

أمسكتُ قلمي بيدي اليسري وبدأت اكتب- أنه الشهرُ السادسُ تماماً منذ رحيلِ نسيم عني، لا أتذكر الأحداثُ كثيراً، ولكن سهيل لم يعد . . . اختفي كالعادة، وتعلمت أن لا ابحث، ولا أودُ أن أجد، أما زين فقد فقد المرأة الثانية في حياته، لا ألومه علي اختفائه، تسألتُ كثيراً عن إحساسه، ولكني شعرت أني أسأل أسئلةً بلا أجوبة، فقررتُ أن أكف عن السؤال، ثم ماذا؟ ماذا لا يمكن أن يشعر بعد اليوم؟
أنا أكره الحرية، قررت أن أُقيد روحي بذلك البيت، لونت جدرانه بعناية، هناك أمرٌ يثيرُ كل علامات استفهامي، صور أمي كلها

اختفت ولا اعلم، لكن عقلي بلا مبرر ربط اختفائها بسهيل؛
أمسكتُ الرسمة التي رسمتها في بداية رؤيتي لسهيل، تجمع أمي وهو؛
وضعتها أمامي وأكملتُ الكتابة؛
-أشعر بأن كل الشوارع غاضبةً، أصبحتُ مُزعجةً بشكلٍ لا يطاق، فكرت كثيراً بالسفر، ولكن أمرٌ ما يربطني هنا لا يسمح لي بالرحيل، رغم أنني -رحيل . . . -

رفعت عيني عن الورق وتذكرت؛
: ماما ليه سميتيني رحيل؟
ابتسمت بهدوء وأمسكت يدي بحنان :أول ما ولدتك باباكي سابني، وقررت اسميكي رحيل؛ عشان افتكر أن أول وجودك بعد عني كل حاجة مؤذية؛ كنت محتاجة حاجة تفكرني باليوم ده؛ يا عمر ماما يارب ما تتأذيش باسمك؛

رأيت في تلك اللحظة ندم أمي علي اسمي، نظرت للورق وكتبت:
- لا يحق للإنسان النقم علي اسمه. . لا بأس. . أنا أُهدي الجميع السعادة وارحل. . أعطيهم بقايا الألم وارحل وربما العكس. . ولكن السيلُ سيلاً. . والنسيم نسيماً. . ولابد للرحيل أن يكون رحيلاً . . . . . -

تركت الورق ثم وضعته بأحد الأدراج بغرفة أمي، بدأت السير في البيت بلا هدف، كنت أتذكر أمي ونسيم في كل موضعٍ وكل مكان؛

جلست علي رخام المطبخ، وبدأت أكل بعض العنب، كانت نسيم تحبُ العنبَ كثيراً؛
بكيتُ،لا أعتقد أن هناك ألم قد يقتلك كألم الموت، أولئك الذين يغادرونا ويتركونا نعاني وحدنا بعدما كانوا يشاركونا ألم الحياة، بعدما علمونا أن الحياة لا تمكن دون مشاركة، أنا وحدي هنا، وحدي تماماً بصدقٍ، تلك الكلمة أنا وحدي؛
نظرت للباب الذي يدق، شعرت برغبةٍ شديدةٍ بأن أتجاهله؛
من سيكون؟ سهيل !! ما عاد يهمني؛
نسيم لم تعد؛
زين، ركضت مُسرعةً افتح الباب، كان زين؛ ولكني رأيته مُنكسراً حقاً، أنا لم أري زين يوماً هكذا، كانت الدماء بعينها؛
دخل بهدوء، ثم نظر لي بألمٍ وانكسار، رأيتهم جيداً، شعرت برغبةٍ شديدةٍ بضمه؛
كنت أُريد أن ابكي معه، من الجيد أن تجد شخصاً يبكي لنفس الألم الذي يسكنك؛

جلس ثم نظر لي وقال بصوتٍ مُتعب: نسيم انتحرت بسببي؛
أنزلت عيني بلا مبالاة، أنا لم أسأل أبداً عن سبب انتحار نسيم؛
رفعت عيني ورأي عدم مبالاتي؛
قال بكسرةٍ وهو يمسك يدي: والله.
قلت وأنا انظر له: أزاي.
قال وهو يبكي :أنا كلمتها قبلها بيوم، وقلتلها أننا لازم نسيب بعض.
ظهر علي بعض الاهتمام، رفعت له عيني بجمود، وقلت :وبعدين.

قال وهو يبعد عينه :قلتلها. . . .
قلت وأنا اضحك بعدم فهم: قلت إيه؟
بكي وهو يمسك يدي ويضع رأسه علي حجري؛
قال أنه يحبني. . . . .
الحبُ موتٌ وحياة، وأصبحَ انتحاراً الآن؛
أنا لم ابكي، بقيتُ ساكنةً سكونٌ مُستفز، ولكني كنت اعلمُ من صميم روحي أن سكوني هذا ما هو إلا بداية عواصف لا تهدأ.
نظرت لسقف البيت وشعرت بدموعي تنهمر ولكن بهدوء؛
أمسكت وجه زين وقلت :زين.
بدأت امسح دموعه وقلت بهدوء: نسيم زعلانة مننا أوي. . . . .
نظر لي ثم انزل عينه وهو يبكي وصمتنا كلانا؛

كان زين يزدادُ سوءً وكنت بجواره دوماً، أنا لم أعد أشعر، اعتقد أني أحصيت كل المشاعر؛
حقاً لم أعد اشتاق لسهيل، ولا أرغب بأن يُدق الباب، حتى زين؛ لم يعد زين الذي أعرفه، ربما أشعر ببعض الانتماء له، لم ابكي علي فقد صور أمي، أمي بقلبي لا تُفقد، ولكن عيني تدمع أحياناً وحدها؛
تلك بقايا المشاعر المبعثرة بداخلي، يقال أن الضياع هو نهايةُ مسيرةُ الشعور بلقبٍ رائع !
ماذا يمكن أن تُسمي بقايا الاشتياق والألم والفقد والسعادة والحزن والسقوط والوقوف غير بالضياع؛
بقايا المشاعر تُخيف أكثر من المشاعر الكاملة؛ لأنها ناقصة يلوثها الضياع وعدم الرغبة، حتى الألم نفقده من الاعتياد؛
نظرت لزين ثم جلست أمامه علي الأرض، أبعدت عيني عنه؛ نظرت لسقف غرفتي بهدوء؛
كل مكان في ذلك البيت تملأه الوحشة؛ جربت الهروب، ولكن الشوارع كذلك تملأها نفسُ الوحشة، الأمرُ بداخلي؛ داخلي موحشٌ مُعذبٌ، لم يعد يرغب ولا يتألم، فقط وحشة تجعلني أريد أمي، ونسيم، ثم بعدها نضمم الجراح التي نزفت، لا نلتقي بسهيل ولا

ابكي، وحدي هنا ولا نتمني النجوم. . . . .

سرت بهدوء لغرفة أمي، فتحت خزانتها، لمحت box أسود يشبه الذي أهداه لي سهيل يوم ميلادي، لم افتحه، أنه مكانه كما تركه؛ جلست علي سرير أمي وفتحته، كان يملأه الكثير من الرسائل؛

فتحت أحداهم؛
-سيول وحشتيني أوي، حاسس إن يومي ناقص من غير صوتك، باريس برد أوي، وصوت المطر بليل مش بيسكت، ببص علي صورتك دايماً لما ارجع، هاخدك أنتِ ورحيل وهوديكم أسكندرية، لازم تجربي أسكندرية معايا، أسكندرية بالنسبه ليَ بحر، وحشيتني عيونك يا سيول، بوسيلي رحيل، بحبك أوي؛

أمسكتُ أحد السلاسل، كنت أجد أمي ترتديها كثيراً ولكن من ذلك؛
ولماذا لم أراه؟ لماذا لم يذهب بي وبأمي أسكندرية؛
بدأت اقرأ رسالة بعد ألآخري، وصلتني إجابة سؤالي؛
أنه سهيل !!
ركضت للصالون وبحثت عن ال box الآخر هديتي؛
وجدته وفتحته كانت به رسائل أيضاً. .

فتحت أحد الرسائل، كان حريصاً أن يجعلها أول ما تقرأ عيني؛ فتحتها بخوف؛

-أنا آسفة يا سهيل مش هقدر، أنا حبيتك بكل روحي، يمكن لو كنت في ظروف تانية كنت قدرت أوصلك حبي صح، أنا بس مش عاوزة رحيل تحس أحساس الأب، من حد مش باباها، الإحساس يا يكون للشخص الصح يا ميكونش، مش عاوزة أظلمك ولا أظلمها، مش عاوزاها تحس أحساس مكانه غلط ، أنت أجمل حاجه حصلت في حياتي، بس رحيل حياتي، حياتي كلها، وجعي وضحكتي، فرحتي وحزني، سلامي وكل حروبي، أنا آسفة لكن أنا لازم اختار، وأنا مش بختارك، بس أنا بحبك، بحب عيونك السود ولمسه أيدك الدافية، وحضنك الصادق وحروب عينك، وسلام روحك، بحبك . . . -

نظرتُ لتاريخ الرسالة، أنه يومُ وفاةُ أمي !!!!
مسحت دموعي وأنا انظر للأوراق حولي، بكيتُ وكأني ابكي للمرة الأولي؛
صرخت بكل قواي، الآن فهمت، ولكن كلما فهم الإنسان زادت حيرته، الآن أشعر أني لم أحصى كل المشاعر، هناك بعضها لم أشعره بعد.

أغمضت عيني، وقفت بتلك الغرفة التي يختفي بابها كلما أدخل، اليوم بابها يُفتح لأجلي، كان كل ما في الغرفة يسقط بعنف، سقفها وحوائطها
وحبلها الوحيد؛
كان زين بالداخل يظهر عليه كل التعب، تداعب الدماء عينيه؛ كان يمسك بالحوائط قبل أن تسقط ، نظرت للباب المفتوح وخرجت تركت الخراب وزين وخرجت، كان الخارج مظلم، ولكن أمي كانت تقف في النهاية تضئُ لي اتجاهي، سمعت الباب يُغلقُ خلفي، بدأت أسير بحذر ولكني سقطت؛

النهاية



01020439639